

المجلد الثاني

العدد الأول- جمادى الآخرة1447ه الموافق
لــ ديسمبر 2025 م



البشرى

مجلة علمية سداسية محكمة تصدر عن
المركز الجامعي نور البشير البيض -الجزائر

El- Bushra for research and studies a half- yearly
international peer- reviewed Scientific journal
ISSN 2992-1262



البشرى

للبحوث والدراسات

مجلة علمية دولية سداسية محكّمة تصدرعن المركز
الجامعي نورالبشيرالبيض-الجزائر

El-Bushra for Research and Studies a half-yearly international peer-reviewed Scientific Journal

ISSN 2992-1262

المجلد(2)- العدد(1)- جمادى الأولى 1447هـ الموافق لـ ديسمبر2025م

بســـــــــم الله الرحمن الرحيم

قواعد النشر بالمجلة

- تعنى المجلة بنشر البحوث والدراسات في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية بشتى فروعها والأبحاث التي تعنى بتكامل العلوم، ومجالات المعرفة المختلفة المرتبطة بالإنسان والمجتمع.
- تنشر المجلة باللغات الثلاث؛ العربية والإنجليزية والفرنسية، على أن يكون البحث مصدرا بملخصين بلغتين مختلفتين؛ واحد باللغة العربية، والآخر بلغة أخرى.
- يكتب البحث ببرنامج وورد، وتكتب الهوامش تسلسليا في آخر البحث، ويشترط في البحث ألا يزيد البحث عن خمس وعشرين(25) صفحة. مع الحرص على الجودة والتميز والرصانة والأصالة(الإضافة النوعية)، والسلامة اللغوية في الأبحاث.
- تخضع الأبحاث للتحكيم الشفاف النزيه، وتحترم المجلة خطوات النشر من استلام وتحكيم ونشر.
- الأبحاث المنشورة في المجلة لا تعبر عن رأي المجلة ولا عن رأي القائمين عليها.
- ترتيب الأبحاث في المجلة يخضع لاعتبارات فنية لا لشيء آخر.

أ.د حميد قبايلي	جامعة أم البواقي	أ.د الربيع بوجلال	جامعة المسيلة
أ.د عبد المالك مغشيش	جامعة باتنة	أ.د حبيب بوزوادة	جامعة معسكر
أ.د نجوى منصوري	جامعة باتنة	أ.د العيد جلولي	جامعة ورقلة
أ.د جيلالي شقرون	جامعة سيدي بلعباس	أ.د ناصر اسطنبول	جامعة وهران
أ.د زهرة بوخاتمي	جامعة سيدي بلعباس	د.موسى لعور	جامعة برج بوعريريج
أ.د رحيم عبد القادر	جامعة بسكرة	أ.د فتيحة شفيري	جامعة بومرداس
د.أبو بكر زروقي	جامعة بسكرة	أ.د. صالح جديد	جامعة الطارف
أ.د براهيم عبد النور	جامعة بشار	أ.د عبد اللطيف حني	جامعة الطارف
أ.د مخلوفي عبد السلام	جامعة بشار	د. بريزة بهول	جامعة الطارف
د.محمد مقصودة	جامعة بشار	د.بلحاج بلخير	م .ج تندوف
د.علي منصوري	جامعة البليدة	د.ميلود قردان	جامعة تسمسيلت
أ.د.عبد القادر زروقي	جامعة تيارت	أ.د دلال وشن	جامعة الوادي
د.نعمان محمد المختار	جامعة تمنغست	د.سليمة خليل	جامعة ميلة
د.خليل مسعود	جامعة تبسة	أ.د.نوار عبيدي	جامعة الطارف
د.أحمد بن عبو	جامعة أدرار	الدكتور بوعمامة	م. ج. النعامة
أ.د.بوعلي عبد الناصر	جامعة تلمسان	أ.د صباح لخضاري	م. ج. النعامة
أ.د. معازيز بوبكر	جامعة تيارت	أ.د عبد القادر خليفي	جامعة غليزان
أ.د.الجوهر مودر	جامعة تيزي وزو	أ.د محمد السعيد بن سعد	جامعة غرداية
أد.نعيمة السعدية	جامعة بسكرة	أ.د مختار سويلم	جامعة غرداية
أ.د حواس بري	جامعة الجزائر	إسماعيل سعدي	م. ج بريكة
أ.د محمد عبد الهادي	جامعة الجزائر	د. خير الدين كرموش	م. ع. قسنطينة
د.جودي محمد	جامعة الجلفة	د.وليد بوعديلة	جامعة سكيكدة
د.عباس حشاني	جامعة جيجل	د. رياض بن جامع	جامعة سكيكدة

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د محمد خان	جامعة بسكرة	أ.د.صالح بلعيد	جامعة تيزي وزو
أ. د. عمار ربيح	جامعة بسكرة	أ.د.الطاهر مشري	جامعة أدرار
أ.د.رمضان حينوني	جامعة تمنغست	أ.د محمد الأمين خلادي	جامعة أدرار
أ.د. عبد القادر زروقي	جامعة تيارت	أ. د.عبد الرحمان بلاغ	جامعة بشار
أ.د. حنيفي بن ناصر	جامعة مستغانم	د. نور الدين عماري	م. ج النعامة
د. زكريا مخلوفي	جامعة الطارف	أ.د عبد الناصر بوعلى	جامعة تلمسان
د. بن الشريف محمد هشام	م. ج. البيض	د. العربي لخضر	م. ج. البيض
أ.د. خالد مسعودي	م. ج. البيض	أ.د. الهواري خويلدي	م. ج. البيض
أ.د.معراج الدين الندوي	الهند	أ.د. تاج الدين المناني	الهند
أ.د. نوشاد الهدوي	الهند	أ.د.رحاب يوسف	مصر
أ. د. محمد نجم الحق الندوي	بنغلادش	د.أسعد اللايق	تركيا
أ.د. كمال بن الدين	م. ج. البيض		

محتويات العدد

كلمة العدد

بسم الله أستفتح وبه أستنجح، وعلى سيدنا محمد أصلي وأسلم خيرِ من زكى نفسه – ﷺ- فربح وأفلح، وعلى آله الطيبين وصحبه الميامين ومن تبعهم بإحسان وصلُح وأصلح، ومما يساق هنا قول العلامة الجاحظ دعاءً: " **اللهمّ إنّا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل**"، لا جعلنا الله من أهل القول بلا عمل، وجنّبنا الرياء والعجب والخطيآت ما كثر منها وما قل.

معاشر المتلقِّين الكرام؛

هنيئا لكم جميعا يا أهل العلم والعمل به، ما طلع به علينا شروق البشرى الثالث الذي ازدان بمقالات تبشرنا بالمعارف والاستزادات العلمية، وما خطته أقلام أساتيذ مفاضيل أبوا إلا أن يبصموا مخرجاتهم وحصائل بحوثاتهم في هذا العدد، وذلك ليشاركوا إخوانهم السابقين واللاحقين في عمارة هذه المجلة، ونحن إذ نكبر في إخوتنا البَحثة هذا الجميل فإننا ندعوا إخوة لنا في الوطن وخارجه إلى أن يسهموا معنا في تعمير مجلتهم ولو بصفحات معدودات تركز على **تحقيق أهدافهم العلمية مع الجديد**؛ ولتكن عشر صفحات شرط **رصانتها وأمانتها وصحة لغتها**؛ فهلمّوا أيها الكَتبة الأكارم من طلبة الدراسات العليا والأساتذة إلى مجلتكم الغراء فهي تستضيفكم وأقلامَكم، ولبُّوا صوت البشرى فهو يناديكم لتخطُّوا الكلمة الطيبة وتشعّوا نورها للقرأَة.

تطالعين أختي القارئة وتطالع أخي القاري هنا عنوانات ذات بال ورفيع شان؛ **فالأستاذ فريد بوعمامة** يفرد كلمته لفلسطين المفدّاة بعنوان: " **فلسطين في كتابات ابن باديس فلسطين الشهيدة أنموذجا"** وفي ذلك بيان العهد الوفي المعقود بين أعلام الجزائر وبلاد الأقصى الجريحة، عهد يؤمن بقداسة الشهادة في سبيل الله وتحرير الأوطان من الظلمة الغاصبين، ثم مقال: **" الاتجاه البياني في تفسير " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**" المشهور بتفسير السعدي بيد **الأستاذ محمد معين الدين**، حيث أبرز منهاج الشيخ المركّز على بيان المعاني والتفسير بالمأثور، بعيدا عن الولوج في التفصيلات والتطويل والخلاف...، ثم يتلو هذا **مقال الأستاذ زرارقة الوكال** عنوانه: " **رمزية حضور الشخصيات الثورية الجزائرية في الشعر العربي المعاصر**" وفيه علامة على المكانة التي تختص بها تلك الشخصيات الجزائرية التاريخية وعظيم وزنها في عيون القصيد العربي المعاصر، ثم يأتي **مقال الأستاذ محمد أبو طه المكي**: " **الإستراتيجية الإعلاميّة لحماية حقوق الأطفال في الواقع والمأمول**" قصد تبيان الأثر الإعلامي الفاعل في خدمة النشء وحماية البراءة، هذا الركن الركين والأساس الأول في بناء مجتمعات قوية آمنة، وختام المقالات بعنوان: " **الأدب الجزائري الحديث بين النشأة والتطور**"، **للأستاذ لخضر دين**، وهو قراءة تاريخية لأدبنا العربي الحديث في الجزائر، إفصاحا عن جذوره وامتداداته.

نزجي شكورنا الموصول الجزيل لكل من أشرف على المجلة وأدارها وأسهم بالتسيير والبحث والتوجيه والتحكيم، وإلى سائر هيْآتها، و من يرفد مجلة البشرى بأي كلمة طيبة ورأي سديد ودعاء صادق، والله من وراء القصد.

أ.د. محمد الأمين خلادي، جامعة العقيد أحمد دراية أدرار-الجزائر.

المجلد: 2
العدد:1
الشهر والسنة: جمادى الأخرة 1447ه/ ديسمبر2025م
ص ص: 01-08

البشرى
للبحوث والدراسات
مجلة علمية دولية سداسية محكّمة
El-Bushra for Research and Studies a half-yearly international peer-reviewed Scientific Journal
ISSN : 2992-1262

فلسطين في كتابات ابن باديس فلسطين الشهيدة أنموذجا

Palestine in the Writings of Ibn Badis: Martyred Palestine as a Symbolic Mode

فريد بوعمامة، جامعة صالحي أحمد النعامة- الجزائر
bouamama@cuniv-naama.dz

ملخص:
تسعى هذه المداخلة إلى استنطاق مقال ابن باديس الموسوم بـ"فلسطين الشهيدة" واستجلاء حرقة رائد النهضة الجزائرية الحديثة بسبب محاولات الصهاينة اغتصاب الأراضي الفلسطينية وطموحهم إلى الاستحواذ على القدس الشريف، وتعاطفه اللا محدود مع قضية شعب مسلم مقهور لا ذنب له سوى أنه تمسك بعرى دينه وتشبث بثوابت وطنه وقيم أمته. ولا شك أن هذه الحرقة تعبر على شعور كل جزائري حر مسلم غيور على دينه ومهموم بقضايا إخوانه في اللغة والدين ومكلوم بجرح فلسطين الغائر .
كلمات مفتاحية: ابن باديس، فلسطين، الصهاينة، الشهداء، القضية الفلسطينية.

Abstract:

This intervention seeks to examine Ibn Badis's article titled "Palestine the Martyred" and to uncover the deep sorrow felt by the pioneer of the modern Algerian renaissance in response to the Zionist attempts to seize Palestinian lands and their ambition to take control of the Holy City of Jerusalem. It also highlights his unlimited sympathy for the cause of an oppressed Muslim people whose only "fault" was holding firmly to the bonds of their religion and clinging to the constants of their homeland and the values of their nation. There

is no doubt that this sorrow reflects the feelings of every free Algerian Muslim who is protective of his faith, concerned for the causes of his brothers in language and religion, and pained by the enduring wound of Palestine.

Keywords: IbnBadis; Palestine; Zionists; martyrs; Palestinian cause.

1. تمهيد:

يشار بمصطلح القضية الفلسطينية أو الصراع الفلسطيني الإسرائيلي إلى الخلاف السياسي والتاريخي، والمشكلة الإنسانية في فلسطين بدءاً من عام (1897م) المؤتمر الصهيوني الأول وحتى الوقت الحالي. وهي تعدّ جزءاً جوهرياً من الصراع العربي الإسرائيلي، وما نتج عنه من أزمات وحروب .

ويرتبط هذا النزاع بشكل جذري بنشوء الصهيونية والهجرة اليهودية إلى فلسطين، والاستيطان فيها، ودور الدول العظمى في أحداث المنطقة. وما نتج عن ذلك من غطرسة اليهود وارتكابهم للمجازر بحق الفلسطينيين وما ترتب عن هذه الأحداث من عمليات المقاومة ضد الدولة العبرية. ويُعتبر هذا النزاع، من قبل كثير من المحللين والسياسيين القضية المركزية في الصراع العربي الإسرائيلي وسبب أزمة هذه المنطقة وتوترها. بالرغم من أن هذا النزاع يحدث ضمن منطقة جغرافية صغيرة نسبياً، إلا أنه يحظى باهتمام سياسي وإعلامي كبير نظراً لتورّط العديد من الأطراف الدولية فيه وتمركزه في منطقة حساسة من العالم وارتباطه بقضايا إشكالية تشكل ذروة أزمات العالم المعاصر، مثل الصراع بين الشرق والغرب، وعلاقة الأديان اليهودية والمسيحية والإسلام فيما بينها، وعلاقات العرب مع الغرب وأهمية النفط العربي للدول الغربية، وارتباطها أيضا بقضايا معاداة السامية وقوى ضغط اللوبيات اليهودية في العالم الغربي. على الصعيد العربي يعدّ الكثير من المفكرين والمنظرين العرب وحتى السياسيين أن قضية النزاع الفلسطيني الإسرائيلي هي القضية والأزمة المركزية في المنطقة وكثيراً ما يربطها بعض المفكرين بقضايا النهضة

العربيـــة وقضـــايا الأنظمـــة الشـــمولية، وضـــعف الديمقراطيـــة فـــي الـــوطن العربـــي.ولـــذلك فـــإن القضـــية الفلســـطينية قـــد أســـالت كثيـــرا مـــن الحبـــر وشـــغلت العديـــد مـــن الأدبـــاء والمفكـــرين والسياســـيين والإعلاميـــين، وكـــان بطبيعـــة الحـــال شـــيخنا عبـــد الحميـــد بـــن بـــاديس مـــن هـــؤلاء الـــذين هبّـــوا إلـــى نصرة فلسطين وسخّر قلمه وفكره لدعم القضية الفلسطينية.

2. دلالة العنوان:

في البداية يستحسن أن نبحث عن الحمولة الدلالية للعنوان الذي اختاره الشيخ ابن باديس لمقالته: فلسطين الشهيدة، للتعرف على أسباب اختيار هذا العنوان، فبخصوص الشق الأول منه فمن الواضح أنه يحيل على قطر عربي في المشرق، وجعل ياقوت الحموي (ت 626 هـ) فلسطين ضمن نطاق الشام،إذ يقول:" بالكسر ثم الفتح، وسكون السين، وطاء مهملة، وآخره نون، والعرب في إعرابها على مذهبين:

منهم من يقول فلسطين ويجعلها بمنزلة ما لا ينصرف ويلزمها الياء في كل حال فيقول هذه فلسطين ورأيت فلسطين ومررت بفلسطين، ومنهم من يجعلها بمنزلة الجمع ويجعل إعرابها بالحرف الذي قبل النون فيقول هذه فلسطون ورأيت فلسطين ومررت بفلسطين، بفتح الفاء واللام، كذا ضبطه الأزهري، والنسبة إليه فَلَسْطِيّ، قال الأعشى[1]:

ومثلك خود بادن قد طلبتها ... وسـاعـيـت معصيّا لدينا وشاتها
متى تسق من أنيابها بعد هجعة ... من الليل شربا حين مالت طلاتها
تقله فَلَسْطِيّا إذا ذقت طعمه ... عـــلـى ربذات الّتي حمش لثاتها

وهي آخر كور الشام من ناحية مصر، قصبتها البيت المقدس، ومن مشهور مدنها عسقلان والرملة وغزّة وأرسوف وقيسارية ونابلس وأريحا وعمّان ويافا وبيت جبرين..."[2]

وأمّا الشقّ الثاني من العنوان فهو مرتبط بالشهادة. وقد جاء في الصحاح:" الشَهادة: خبَرٌ قاطع. تقول منه: شَهِد الرجل على كذا، وربما قالوا شَهْدَ الرَجُلُ، بسكون الهاء للتخفيف، عن الأخفش. وقولهم: اشهد بكذا، أي احلف والمشاهدة: المعاينة. وشهده شُهوداً:

أي حَضَرَه، فهو شاهدٌ. وقومٌ شُهودٌ، أي حُضورٌ، وهو في الأصل مصدرٌ، وشُهَّدٌ أيضاً مثل راكع وركع. وشَهِد له بكذا شَهادةً، أي أدَّى ما عنده من الشهادة، فهو شاهد، والجمع شهد، مثل صاحب وصحب وسافر وسفر. وبعضهم ينكره. وجمع الشهد شهودا وأشهاد. والشهيد: الشاهد، والجمع الشُهَداءُ. وأَشْهَدْتُهُ على كذا فَشَهِدَ عليه، أي صار شاهِداً عليه..."[3] ومن خلال هذا التعريف اللغوي علمنا أن الشهيد يقترب من حيث معناه بالشاهد أو الحاضر، فالشهيد أصْله من الشهود والحضور، ومنه الشهادة التي تُقابل الغيب؛ يقول تعالى: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ** ﴾[4]. وأما من ناحية الشرع، فيراد به:" من قتله أهل الحرب، أو أهل البغي، أو قطاع الطريق، أو اللصوص في منزله ليلاً أو نهاراً بأي آلة: مثقل أو محدد، أو وجد في المعركة وبه أثر كجرح وكسر وحرق وخروج دم من أذن أو عين، أو قتله مسلم ظلماً عمداً بمحدد، وكان مسلماً مكلفاً طاهراً، ولم يرتث بعد انقضاء الحرب، أي لا يموت عقب الإصابة"[5].وحتى تترسم لدينا الصورة الذهنية للعنوان، وانطلاقا من وعينا بالمنزلة العالية التي رفَع القرآن إليها الشهيد، والمقام الكريم الذي أحلَّه فيه في دار البقاء، يقول تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ** ﴾[6] .ويقول عز من قائل: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[7]

انطلاقا من كل ما سبق يمكننا أن نقدر بأن اختيار عنوان(فلسطين الشهيدة) ما كان ليكون لو لم يكن ابن باديس يستحضر معاني حضور فلسطين في قلوب العرب والمسلمين واعتقاده أن مجد الأمة ونهوضها لا يكون إلا بوجود هذا القطر ضمن جسد الأمة. وإذا استحضرنا السياق التاريخي لهذا النص الذي كتب قبل النكبة علمنا أن حرقة الشيخ ابن باديس كانت نتيجة لرؤية استشرافية مبنية على اطلاعه على تاريخ اليهود الأسود المليء بالكيد والغدر. هذه الرؤية التي مكّنته من توقع الأسوأ من الصهاينة تجاه الفلسطينيين. ومن جهة أخرى فإن العنوان يوحي بكل معاني الألم والوقيعة والغدر التي مني بها الشعب الفلسطيني المكلوم نتيجة تواطؤ الاستدمار الإنجليزي وتحامل اليهود عليه. فليس هناك ما يؤدي هذه المعاني غير هذا العنوان الذي وفق في اختياره الشيخ ابن باديس.

3. أهم المضامين:

يفتتح ابن باديس مقاله موضحا أن رحاب المسجد الأقصى في قدسيته يماثل رحاب المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، منبّها إلى أهمية المكان عند العرب والمسلمين، ومذكّرا ببركة هذا المسجد، فيقول:" رحاب القدس الشريف مثل رحاب مكة والمدينة، وقد قال الله في المسجد الأقصى في سورة الإسراء: ﴿**الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾[8] ليعرفنا بفضل تلك الرحاب. فكل ما هو واقع بها كأنه واقع برحاب المسجد الحرام ومسجد طيبة ".[9]

ثم ينتقل إلى الحديث عن الاستدمار الإنجليزي الذي ابتليت به المنطقة والذي كان السبب الرئيس لنكبة فلسطين سنة 1948م بعد أن سلم الانجليز فلسطين لليهود. هؤلاء الذين لم يراعوا في الشعب الفلسطيني المسلم إلا ولا ذمة، وهذا دأبهم على مر العصور وكر الدهور، ولم يحفظوا العهود وأنساهم الطمع والجشع وحب الدنيا جميل المسلمين الذين عاشوا في حماهم معزّزين مكرّمين لعهود ممتدّة في التاريخ.[10]

إن الأوصاف المشينة التي نعت به اليهود و ذكره لجرائمهم النكراء في حق الفلسطينيين لم تمنعه من أن يكون منصفا مع القوم، وذلك أن عبارته استثنى منها بعضا من اليهود الذين لم ينجرّوا إلى دعوات الصهاينة الحاقدين على الإسلام وأهله، ومنهم اليهود السامريين، ونستشفّ ذلك من قوله: " نقول، لقسم كبير من اليهود، لأن هنالك من اليهود عددا كثيرا يستنكر هذا المأتى الجنوني الظلوم، ويعترف بجميل الإسلام والسعادة التي نعم بها اليهود ويهود القدس في ظله الوارف الأمين "،[11] ويضيف :" فقد قدم رئيس الطائفة السامرية إلى حاكم نابلس عريضة احتج فيها باسم الطائفة على الاعتداءات الأثيمة التي وقعت على العرب في القدس وحيفا ويافا هذا نصها:

"نحـــن أفـــراد الطائفـــة الســـامرية رجـــالا ونســـاء نســـتنكر بشـــدة أعمـــال الاعتـــداءات الفظيعـــة التـي يقـوم بهـا أشـخاص مـن اليهـود ضـد قـوم أبريـاء فـي حيفـا ويافـا والقـدس، ونطالـب بشـدة الحيلولـة دون تكـرار هـذه الحـوادث المروعـة ونصـرّح بأننـا- علـى أقليتنـا- نعـيش منـذ ألـوف السـنين مـع مواطنينـا العـرب فـي سـلام، ولـم يحـدث أن اعتـدى مـنهم أحـد علينـا أو حـاول اضطهادنا".[12]

وهـذا إنّمـا يـدلّ علـى أنّ اليهـود ليسـوا كلّهـم سـواء فـي تصـرفاتهم،إذ مـنهم أصـحاب الضـمائر اليقظـة مثـل هـؤلاء السـامرية- وإن كـان عـددهم قليـل- الذين يرفضون -إلى يوم الناس هذا- الإجرام في حق الفلسطينيين.

ثـم نـراه يحمّـل مسـؤولية فلسـطين،التي وقعـت بـين أنيـاب الاسـتدمار الإنكليـزي والصـهيونية، كـلّ المسـلمين بـلا اسـتثناء، يقـول:" وكـل مسـلم مسـؤول أعظـم المسـؤولية عنـد الله تعـالى علـى كـل مـا يجـري هنالـك، مـن أرواح تزهـق وصـغار تيـتم ونسـاء ترمـل وأمـوال تهلـك وديـار تخـرب وحرمـات تنتهـك، كمـا لـو كـان ذلـك كلـه واقعـاً بمكـة أو بالمدينـة، إن لـم يعمـل لرفـع ذلـك الظلـم الفظيع بما استطاع".[13]

ثـم يمضـي شـيخنا فـي وصـف حـال اليهـود فـي أيامـه حيـث كـانوا اضـطهادا مـن الأمـم المسـيحية ولا سـيما مـن ألمانيـا التـي شـردتهم واضـطردتهم قوانينهـا إلـى بيـع ممتلكـاتهم. هـذا وقـد أوضـح الشـيخ أن تعاليمنـا الإسـلامية تفـرض علينـا أن نتعـاطف مـع المظلـوم مهمـا كـان وأن شـريعتنا تـرفض أن يتسـبب أحـد منـا فـي الظلـم والاضـطهاد، وتبعـا لـذلك فـإن هـؤلاء اليهـود الـذين سُـلِّطوا علـى إخواننـا الفلسـطينيين قـد عاشـوا فـي ظـل الإسـلام فـي أريحيـة. ولكنهم تناسوا الماضي وهم يتربصون بفلسطين الدوائر.[14]

وبعـد ذلـك كلـه ينتقـل الشـيخ ابـن بـاديس للحـديث علـى مسـاعي بعـض الـوزراء العـرب ومحـاولتهم الـدفاع عـن فلسـطين فـي المـؤتمرات الدوليـة مثمنـا هـذه المسـاعي ومبـرزا أهميـة النضـال السياسـي والديبلوماسـي الـذي "

ستعرف به الصهيونية والاستعمار البريطاني أنها أمام العالم الإسلامي والعربي لا أمام فلسطين... ".[15]

4. تعليق على خاتمة المقال:

اختتم ابن باديس هذا المقال بقوله تعالى: ﴿ **وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[16]وبالعودة إلى التفاسير نعلم أن في الآية تحذير للمؤمنين من فتنة لا تصيب الذين ظلموا فقط.

ولا شك أن ابن باديس يرى الفتنة كل الفتنة في استهانة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بأمر فلسطين، وفي التخلف عن الدفاع عن القدس الشريف والمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين.

5. خاتمة:

وبعد هذه القراءة المتواضعة يمكننا القول بأن "فلسطين الشهيدة" تعدّ بحقّ سجلّا لمعاناة الشعب الفلسطيني خلال الفترة الممتدة من 1921 إلى 1938. وقد ضمّنها الشيخ ابن باديس صرخة مدوّية دقّ من خلالها ناقوس الخطر، ويدعو فيها كل غيور للدفاع عن فلسطين.

وقد أبان الشيخ ابن باديس في هذا المقال على قدرة فائقة في فهم ما يدور في الساحة الدولية من أحداث، ولم تخدعه خطابات الزعماء الغربيين المفعمة بالخداع والمكر والنفاق.

كما أظهر الشيخ أيضا وعيه القومي وشعوره بالحالة التي يعيشها الأشقاء في فلسطين السليبة. هذا الشعور الذي ينبئ بأن الأمة ما زالت بخير ، جاء في صحيح الترمذي: عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ جَدِّهِ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**».[17]

6. الهوامش والإحالات:

[1] - ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس الأعشى، تح: م محمد حسين، المكتبة النموذجية، مصر، د.ط، د.ت، ص 83.

[2] - معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي(ت 626 هـ)، دار صادر، بيروت-لبنان، ط 02، 1995م، ج4، ص274.

[3] - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت-لبنان،ط 04،1407هـ-1987 م، مادة (شهد).

[4]- الأنعام،الآية:73.

[5]- الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ، وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ، دار الفكر ، سوريَّة – دمشق، ط 04، د.ت ، ج 2، ص1583.

[6]- محمد،الآيات:04-06.

[7]- آل عمران،الآية:169.

[8]- سورة الإسراء،الآية:01

[9]- آثار ابن باديس، عمار الطالبي ،الشركة الجزائرية – الجزائر الطبعة الأولى، 1388 هـ- 1968 م، ج3 ، ص 413.

[10]- المصدر السابق،الصفحة نفسها.

[11]- المصدر السابق،الصفحة نفسها.

[12]- المصدر السابق:3/413-414.

[13]- المصدر السابق:3/414.

[14]- ينظر: آثار ابن باديس، عمار الطالبي:3/415.

[15]- نفسه:3/416.

[16]- الانفال،الآية:25.

[17]- الجامع الكبير (سنن الترمذي)، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت 279 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1، 1996 م:باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم، رقم الحديث:1928.

المجلد:2
العدد:1
الشهر والسنة: جمادى الآخرة 1447ه/ ديسمبر2025م
ص ص: 09-27

البشرى
للبحوث والدراسات
مجلة علمية دولية سداسية محكّمة
El-Bushra for Research and Studies a half-yearly international peer-reviewed Scientific Journal
ISSN : 2992-1262

الاتجاه البياني في تفسير "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"

The Rethoric in the Interpretation of "Tayssir al-Karim al-Rahman in interpreting al-Mannan's words"

الدكتور محمد معين الدين، الجامعة الإسلامية العالمية، شيتاغونغ-بنغلاديش
mainu99@yahoo.com

ملخص:

إن القرآن الكريم منذ نزوله لا يزال يتحدى اليوم البشرية في إعجازه وبيانه وخواصه الفنية، فتعددت مناهج المفسرين وتنوعت بتعدد اتجاهاتهم واهتمامهم الفكرية والمعرفية، ومن أبرزها المنهج البياني الذي يكشف أسرار تلك الخصائص الفنية للقرآن الكريم، والشيخ عبد الرحمن السعدي من المفسرين البيانيين في العصر الحديث الذي بذل جهده لإبراز ملامح الاتجاه البياني من الأساليب البلاغية والقيم الجمالية لصور البيان القرآني في تفسيره "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ."

وقد تضمن البحث مقدمة وتمهيدا وثلاثة محاور وخاتمة . ففي التمهيد عرض سريع عن مفهوم التفسير البياني ونشأته ومسيرته التاريخية وأهميته في تفسير القرآن الكريم. وفي المحورالأول تعريف موجز عن الشيخ السعدي ومكانته العلمية، وتناول المحور الثاني جهود السعدي في مجال التفسير ونبذة عن كتابه "تيسير الكريم الرحمن". ودار الحديث في المحور الثالث حول الوجوه البيانية الواردة في تفسير السعدي . وكانت الخاتمة للنتائج التي توصل إليها البحث.

كلمات مفتاحية: التفسير، البيان، السعدي، تيسير الكريم الرحمن.

Abstract:

The Holy Qur'an, since its revelation, continues to challenge humanity today in its miraculous nature, clarity, and artistic properties.Thus approaches of interpreters have multiplied and varied according to their intellectual and cognitive orientations and interests. The most prominent of these is the rhetorical approach, which reveals the secrets of those artistic properties of the Holy Quran. Sheikh Abdul Rahman Al-Saa'di is one of the rhetorical interpreters in the modern era who has made an effort to highlight the features of the rhetorical approach from the rhetorical styles and aesthetic values of the images of the Quranic eloquence in his interpretation "Taysir Al-Karim Al-Rahman fi Tafsir Kalam Al-Mannan".

The research included an introduction, a preface, and three chapters, and a conclusion. In the preface, there is a brief presentation of the concept of rhetorical interpretation of Holy Qur'an, its origins, its historical path, and its importance in interpreting the Holy Quran. In the first chapter, there is a brief introduce of Sheikh Al-Saa'di and his educational status. The second chapter discusses Al-Saa'di's efforts in the field of interpretation and a summary of his book "Taysir Al-Karim". As for the third chapter, it is the core of the subject and discusses the rhetorical aspects mentioned in Al-Saadi's interpretation. As for the conclusion, it was for the results that I reached.

Keywords: Interpretation of Qur'an, Eloquence, Al-Saa'di, Taysir Al-Karim Al-Rahman.

1. مقدمة:

الحمد لله العلي القدير، والصلاة والسلام على نبيه البشير والنذير، وعلى آله وأصحابه الذين ساروا على نهجه المنير، وبعد؛

فإن القرآن الكريم منذ نزوله إلى يوم القيامة سيبقى معجزة خالدة في اللفظ والمضمون والأسلوب. ومن أهم إعجازه الإعجاز البياني، الذي بهر العرب أرباب الفصاحة والبلاغة، فتحداهم القرآن في أساليبه ونظمه، فيمثل الاتجاه البياني أساسا قويا من الأسس

التي بنى عليها المفسرون مناهجهم في التفسير واعتمدوا عليها اعتمادا واضحا في تناولهم لكتاب الله العزيز الذي نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [1] . فشرط العلماء بإلمام هذا العلم لمن تصدى تفسير القرآن الكريم ، "ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب". [2] ولهذا حرص المفسرون منذ القديم كل الحرص في هذا العلم واتخذوه أداة لتوضيح الآيات القرآنية. وفي العصر الحديث وجد للعلماء المفسرين جهد مبذول في كشف هذا الاتجاه، من أبرزهم الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله.

الهدف من الدراسة

تجلية جهود العلامة الشيخ السعدي في التفسير البياني واسخراج الوجوه البيانية في تفسيره القيّم "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، والوقوف على الصور البلاغية التي تناولها السعدي عند تفسيره الآيات الكريمة وإبراز السمات الأسلوبية التي عُرف بها الشيخ السعدي رحمه الله.

أهمية الموضوع

إن أهمية الدراسة تكمن في إظهار الجانب البياني من تفسير الشيخ السعدي؛ لأن دروس مجالس التذكير للشيخ السعدي ومنهجه في التفسير معروفة لدى كثير من الباحثين والقارئين، لكن الصور البيانية والبلاغية لم تحظ بدراسة خاصة، فجاءت المحاولة لكشف جهود السعدي في دراسة القرآن الكريم بيانيا وبلاغيا ودلاليًّا ونحويًّا.

ومن هذا المنطلق، فإني استعنت بالله سبحانه في كتابة هذا البحث تحت عنوان " الاتجاه البياني في تفسير "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" للشيخ عبد الرحمن السعدي ، لجلاء جانب مهم من الجوانب التي حوت تفسير السعدي وإبرازه لغرض الانتفاع به من قبل طلبة العلم والمهتمين بالدراسات القرآنية .

طريقة البحث :

أما المنهج الذي سلكته هو المنهج التحليلي حيث قمت بدراسة المادة العلمية دراسة تحليلية.

2. الاتجاه البياني في تفسير القرآن الكريم: مفهومه وأهميته

1.2. مفهوم الاتجاه البياني:

تعريف البيان لغة واصطلاحا: البيان لغة التوضيح والإظهار، يقول ابن منظور :" البيان ما يبين الشيء من الدلالة وغيرها، والبيان : الفصاحة واللسان، وكلام بين : فصيح.[3] والبيان اصطلاحا هو "أصول يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة العقلية على ذلك المعنى".[4] ويرى الجاحظ أن البيان: "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان..." [5]

فالتفسير البياني: هو المنهج الذي تدور مباحثه حول بلاغة القرآن في صوره البيانية من تشبيه واستعارة وكناية وتمثيل ووصل وفصل واستعمال حقيقي أو استخدام مجازي أو استدراك لفظي، أو استجلاء للصورة أو تقديم وتأخير للبنية وغيرها.

فيمكننا تحديد مفهوم التفسير البياني هو "التفسير الذي يبين أسرار التركيب في التعبير القرآني، فهو جزء من التفسير العام تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية كالتقديم، والتأخير، والذكر والحذف واختيار لفظة على أخرى، وما إلى ذلك مما يتعلق بأسرار التعبير"، وهو يدخل ضمن المدرسة اللغوية في التفسير.[6]

2.2 الجذور الأولى للتفسير البياني ومسيرته التاريخية:

إن التفسير البياني قد ظهر في الوجود منذ نزول الوحي على رسول الله ﷺ، وبوجه الخصوص بعد ما أنزل الله تعالى ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[7]، فبدأ الرسول ﷺ امتثالا لقول الله تعالى يوضحه ويبينه للناس ما يحتاجون إليه من التفسير والتأويل، فكان ﷺ أول من فسر القرآن، فكان من تفسيره بعض من الملامح البيانية قد ذكرها المفسرون وأفردها الباحثون من بعده، ومن ذلك تفسير الرسول ﷺ لقوله تعالى ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**﴾[8]، فبين الرسول بأن المراد به الصبح الصادق والصبح الكاذب، فالمعنى بياض الليل وسواد النهار قد خرج من معناهما الحقيقي إلى المعنى المجازي.[9] فكانت الجذور الأولى للتفسير البياني تعود الى عصر الرسول ﷺ .

ثم جاء عصر الصحابة فظهرت بعض الإشارات البيانية في تفسير الصحابة رضوان الله تعالى عنهم، ومن أشهرهم تفسير ابن عباس إذ اشتهر بالتفسير اللغوي والبياني لكتاب الله العزيز، وسلك تلاميذه هذا الاتجاه مثل مجاهد، وعكرمة، وطاووس، وابن جبير، وابن أبي رباح وغيرهم.[10]

وفي عصر التدوين وما بعده ظهرت الدراسات البيانية للقرآن الكريم بيد العلماء البارزين المهتمين ببيان القرآن وجمال نسقه ونظمه، ومن أمثالهم: أبوعبيدة معمر بن المثنى (ت210هـ) في كتابه "مجاز القرآن"، وأبو زكريا الفراء (ت 207هـ) في كتابه " معاني القرآن"، وأبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت225هـ) في كتابه "نظم القرآن"، وهو كتاب مفقود لكن الجاحظ نفسه وغيره من الدارسين أشاروا في كتبهم إلى قيمة هذا الكتاب ولطائفه البيانية للقرآن الكريم، وابن قتيبة الدينوري (ت 276هـ) في كتابه "مشكل القرآن" الذي رد فيه على الطاعنين في بلاغة القرآن.[11]

وفي القرن الرابع الهجري سلك العديد من العلماء مسلكهم في تأليف كتبهم بهذا اللون من التفسير بعنوان "إعجاز القرآن"، فألف فيه الرماني (ت384 هـ) كتابه "النكت في إعجاز القرآن"والخطابي (ت 386هـ) كتابه "بيان وإعجاز القرآن والباقلاني (ت 403 هـ) وفي كتابه"إعجاز القرآن"وغيرهم. ثم ظهر في هذا الميدان جملة من فرسان البيان والبلاغة الذين كرسوا جهودهم وبذلوا طاقتهم في إبراز مواضع الجمال اللغوي للقرآن الكريم وأسراره البلاغية ونظمه البديعية، ومن أبرزهم عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) في كتابيه الشهيرين "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة"، والزمخشري في تفسيره البلاغي واللغوي " الكشاف"، حيث طبق فيه نظريةالنظم التي أرسى قواعدها الجرجاني. وفخر الدين الرازي (ت606هـ) في رسالته "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" وغيرهم من العلماء الأفذاذ. ثم جاء من بعد هذه القرون من تناول التفسير البياني شافيا، مثل برهان الدين عمر البقاعي (ت885هـ) ، وجلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، والألوسي (ت 1217هـ)، وغيرهم من العلماء رحمهم الله تعالى جميعا.[12]

فنرى أن مسيرة التفسير البياني للقرآن الكريم والعناية بالبيان القرآني عند الأقدمين لم تنقطع يوما في العصور الإسلامية المختلفة، وفي العصر الحديث استمرت تلك المحاولة في كشف وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم عند بعض الباحثين المهتمين

بالتفسير البياني، فمثلا دعا الشيخ محمد عبده إلى العودة إلى البيان العربي في مصادره الأولى في فهم القرآن الكريم، ثم دعا أمين الخولي إلى اعتماد المنهج الأدبي في التفسير، كما شارك هذا الاتجاه أعلام أجلاء في تفاسيرهم ومؤلفاتهم، من أمثال شكري محمد عياد، وأحمد أحمد البدوي، ومحمد أحمد خلف الله، وعائشة عبد الرحمن، والدكتور فاضل صالح السامرائي، والشيخ ابن عاشور، والشنقيطي، وعبد الرحمن السعدي وغيرهم رحمهم الله جميعا.[13]

2.3. أهمية التفسير البياني:

إن الإعجاز البياني للقرآن الكريم يعتبر أعظم وجوه إعجاز القرآن بجانب الوجوه الأخرى لإعجاز القرآن الكريم؛ لأن الوجوه الأخرى لا تشمل جميع القرآن، فأنباء الغيب مثلا ليست موجودة في كل آية من القرآن، وكذلك الإعجاز العلمي والتشريعي، ولكن النظم القرآني متوافر في جميع سوره وفي كل آيايته غالبا، إما ظاهرا وإما إشارة، ومن هنا كان الإعجاز البياني أهم هذه الوجوه وأعمها، بل هو أتمها. فلأن الإعجاز البياني بما فيه النظم المبهر والأسلوب البديع يظهر جليا في التفسير البياني، له دور كبير لاستكشاف هذا النظم القرآني للقرآن الكريم وصوره البديعية التي تجذب العواطف، وتبرد النفس، وترهف الحس، فأسرار البيان هو الذي كان تدركه العرب عند نزول القرآن بذوقه وسليقته الطبيعية.[14]

3. حياة الشيخ السعدي ومكانته العلمية:

1.3. التعريف بالشيخ عبد الرحمن السعدي:

1.1.3. مولده ونشأته:

هو الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي.[15] ولد في عنيزة بالقصيم في شهر الله المحرم سنة 1307هـ. وتوفيت أمه سنة 1310هـ، وله أربع سنوات .ثم والده في عام 1313هـ، والسعدي ابن سبع سنين،[16] فنشأ عند أخيه الأكبر حمد بن ناصر، حيث قام برعايته وتربيته خير قيام، واشتهر السعدي منذ صغره بذكائه وفطنته ورغبته الشديدة في طلب العلم .فبدأ بحفظ كتاب الله في سن مبكرة، حتى أتقنه، ثم شرع بعد ذلك في تحصيل سائر العلوم الشرعية. وبرع في جميع مجالات الشرعية، في الحديث، والتفسير، والعقائد، والفقه، والأصول، وعلوم اللغة وغيرها.[17]

2.1.3. شيوخه وتلاميذه:

تلقى الشيخ العلوم على كبار العلماء والمشائخ الأجلاء، ومن أبرزهم :

إبراهيم بن حمد بن محمد بن جاسر: أخذ عنه التفسير، والحديث، وأصولهما، والشيخ محمد بن عبد الكريم، أخذ عنه الفقه وأصوله وعلوم اللغة العربية.[18] والشيخ علي بن ناصر بن محمد أبو وادي، أخذ عنه الحديث، وأجازه في ذلك. وأخذ عنه التفسير وأصوله، وأصول الحديث، والشيخ محمد الأمين محمود الشنقيطي، وغيرهم.[19]

وتتلمذ على الشيخ خلق كثير يصعب حصرهم، ومن أبرزهم: محمد بن صالح العثيمين، عبد الله بن عبد الرحمن البسام، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العقيل، عبد العزيز بن محمد السلمان، وابنه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السعدي ، الذي عني بطبع مؤلفات والده .[20]

3.1.3. مكانته التعليمية:

كان الشيخ السعدي ذا معرفة تامة في العلوم الشرعية كلها ، فكان له تأثير كبير بكتب شيخ الإسلام ابن تيميه وتلميذه ابن القيم، فانتفع بهما كثيرا وحصل له خير كثير بسببهما في الأصول والعقيدة، والفقه، والتفسير وغيرها من العلوم النافعة، وكان أثر بمولفات هذين الشيخين الجليلين على السعدي أنه لا يتعصب بالمذهب الحنبلي في المسائل الفقهية، بل يرجح ما يظهر له بالدليل الشرعي. ولا ينتقد آراء المذاهب الأخرى، ولا يطعن في علمائهم كبعض المتهوسين . كما كان له اليد الطولى في علم التفسير، فألف تفسيراً جليلاً في عدة مجلدات، فسره بالبديهة، حيث يقرأ في جلسته من كلام الله تعالى ثم يفسره ارتجالا والتلاميذ يسمعون ويسجلون، ويظهر عمق علمه وواسع معرفته في مؤلفاته العديدة .

4.1.3 .مصنفاته:

كان الشيخ السعدي صاحب عناية بالغة بالتأليف، وله مصنفات في جميع مجالات العلوم الشرعية، فصنف في العقيدة، والفقه وأصوله، والحديث النبوي، والتفسير، ومحاسن الدين وغيرها. وجل مؤلفاته مطبوعة إلا اليسير منها. ونذكر منها:

أولا: تفسير القرآن الكريم في ثماني مجلدات.

ثانيا: الحديث النبوي الشريف في مجلد .

ثالثا: العقيدة الإسلامية في مجلد .

رابعا: القفه وأصوله في مجلدين .

خامسا: الثقافة الإسلامية في مجلدين .

سادسا: الخطب في مجلد .

سابعا: الفتاوى في مجلد .

ثامنا: مختصر التفسير وأصوله في مجلد.[21]

5.1.3.وفاته:

بعد هذه الحياة الحافلة بالعلم وخدمة الإسلام أصيب الشيخ عام 1372هـ بمرض ضغط الدم، وتصلب الشرايين .ثم توفي رحمه الله قرب طلوع الفجر من ليلة الخميس 23 جمادى الآخرة عام 1376 هـ في مدينة عنيزة من بلاد القصيم.[22]

4. السعدي وجهوده في مجال التفسير ونبذة عن كتابه "تيسير الكريم"

كان الشيخ عبد الرحمن السعدي من أعمق علماء عصره الذين كرسوا جهودهم في خدمة الإسلام ودين الله الحنيف قبل كل شيء، وكان اهتمامه الخاص بتناول علوم الدلالة اللغوية التي تفسر القرآن الكريم بجانب كتابته في العقيدة وأصولها والفقه الإسلامي وأصوله، والحديث وأصوله، فاعتنى تفسيره باللغة عناية ظاهرة، واهتم بالمفردة القرآنية من جميع زواياها الدلالية، وركز على الأساليب البيانية وعطائها الدلالي بما يتعانق كله في خدمة تفسير القرآن الكريم .

فترك سبعة مؤلفات قيمة في مجال التفسير للأمة الإسلامية في فهم القرآن وتدبر معانيه، والتمعن في آيات الله الحكيمة. وهي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، وتيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، والمواهب الربانية من الآيات القرآنية، والقواعد الحسان لتفسير القرآن، وفوائد مستنبطة من قصة يوسف، وفتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن.

1.4. نبذةعن كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"

إن تفسير "**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**" من تأليف العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، يعد من التفاسير العصرية التي عنيت بالعقيدة، والأحكام المتعلقة بها، والوجوه الإعجاز القرآني البلاغية، والأسلوبية، واللغوية، وهو تفسير كامل للقرآن الكريم بأسلوب عصري بين التطويل والإيجاز، مرتب حسب ترتيب السور في القرآن. وقد اعتنى السعدي في تفسيره بإيضاح المعنى المقصود من الآية بعبارة واضحة مختصرة، مع

ذكر ما تضمنته الآية من حكم أو لطائف، دون استطراد أو ذكر قصص أو إسرائيليات، كما أنه اهتم باستنباط الأحكام الشرعية، والقواعد الأصولية، والفوائد الفقهية والهدايات القرآنية إلى غير ذلك من الفوائد الأخرى.[23] وطبع هذا التفسير القيم عدة مرات، وأشهر تلك الطبعات وأفضلها طبعة دار ابن الجوزي بالدمام .

2.4. أسلوبه في تفسير القرآن :

إن المطالع لتفسير الشيخ السعدي ليلحظ من أول وهلة أنه سار على خطة تفسيرية محكمة، حيث كان منظما في سيره ورائدا في مجاله، فجاء تفسيره مرتب الأفكار سلس الألفاظ واضح العبارة، قوي الاستدلال، تجنب الحشو والتطويل، وترك الخلاف والقصص غير الموثوق فيها وروايات الإسرائيليات، ومركزا على المعنى المقصود من الآية، وقد عني التفسير بالعقيدة بما تشمله من توحيد الربوبية، وتوحيد الإلوهية، وتوحيد الأسماء والصفات. أما المنهج الذي سلكه السعدي في تفسيره فهو المنهج الإجمالي من التفسير بالرأي المحمود والذي يشتمل كذلك من اللون البياني والاجتماعي. كما ذكر المؤلف فيه فوائد ولطائف ما ذكره ابن القيم فيه، وسلك طريقا أنه أورد عند كل آية المعانى الواضحة لتلك الآية حتى يتضح مقاصده جليا، ولهذه السمات ويعد الكتاب من أفضل كتب التفسير.[24]

5. الوجوه البيانية في تفسير السعدي:

تناول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره الأساليب البلاغية والبيانية، ولكنه لم يكثر منها كسائر المفسرين لأن هدفه هوالمعنى وبيان الهداية في القرآن الكريم، فقسمت الوجوه البيانية الواردة في تفسيره إلى ثلاثة أقسام: دلالة ألفاظ القرآن الكريم، والوجوه البلاغية في تفسير السعدي، الأسلوب القرآني، وبيانها بإيجاز كالآتي:

1.5. دلالة ألفاظ القرآن:

1.1.5. دلالة ألفاظ القرآن الكريم:

لاريب أن دلالة الألفاظ موضوع ذو أهمية في الجانب البياني، أذكر هنا عن بعض هذه الدلالات المهمة للألفاظ التي أوردها السعدي في تفسيره.

2.1.5. العموم والخصوص:

إن الناظر والمعن الفكر في كتاب الله يجد أن هناك ألفاظا عامة في القرآن الكريم وضعت للدلالة على الإحاطة والشمول، وألفاظا خاصة وُضعت للدلالة على الخصوص، كما يجد أن هناك ألفاظا عامة يراد منها الخصوص، وألفاظا خاصة يراد منها العموم والشمول، والقرينة على اختلاف أنواعها وهي التي تبين المراد من اللفظ. ونجد في تفسير العلامة الشيخ السعدي أنه قد تطرق لهذه الدلالة في مواضع متعددة، نذكر منها :

أ - من تفسيره ومنها ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾،[25] حيث ذكر رحمه الله أن وجه اختصاص إضافه الملك ليوم الدين مع أنه تعالى ملك كل شيء، يوم الدين وغيره .وهو كون المراد بيوم الدين يوم القيامه الذي يحاسب فيه كل إنسان عما قدم من خير أو شر.[26]

ب- ومثله قول السعدي عند تفسيره لقوله تعالى ﴿**وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾،[27]حيث ذكر رحمه الله أن التبعيض الواردة بقوله ﴿ومن قوم موسى﴾ فيه دلالة على أن طائفه من بني إسرائيل عادلة مستقيمة حتى لا يتوهم متوهم أن ليس منهم من هو متصف بالعدالة والاستقامة.[28]

ج- ومنها ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى ﴿**وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ**﴾،[29] حيث ذكر الشيخ السعدي أن الأمر بالطواف على وجه الخصوص في الجملة الكريمة إنما ذكر بعد الأمر بالعموم بقوله تعالى ﴿**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾،[30] دلالة على شرف البيت العتيق وعظيم منزلته فضله، وفيه إشارة الى أن الطواف هو المقصود، وما ورد في الآيات السابقة عليه إنما هو عبارة عن وسائل إلى هذا الطواف، وفيه دلالة أخرى إلى أن الطواف مشروع في كل وقت، سواء كان الطائف بالبيت حاجا أو معتمرا، أو كان طوافه مستقلا ليس تابعا لحج أو عمرة.[31]

3.1.5. الوجوه والنظائر:

النظائر كالألفاظ المتواطئة، وقيل النظائر في اللفظ والوجوه في المعاني، وحرص المفسرون على إيراد الوجوه والنظائر ليصلوا إلى المعنى الصحيح للفظ القرآني لحسب ما يقتضيه السياق القرآني. ولأهميته قد عرض السعدي الوجوه والنظائر في تفسيره، ولكن تعرضه كان قليلاً جداً لهدف الاختصار، ونذكر مثالا واحدا فقط.

قال الشيخ السعدي عند تفسيره لقوله تعالى﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ** ﴾.[32] أن كلمة الاستواء في القرآن وردت على ثلاثة معان: فتارة لا تعدى بالحرف، فيكون معناها التمام،كما في قوله عن موسى ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى**﴾،[33] وتارة تكون بمعني "علا "و"ارتفع "وذلك إذا عديت بـ"على"كقوله تعالى﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾،[34] و﴿ **لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ**﴾،[35] وتارة تكون بمعنى " قصد " كما إذا عديت بـ"إلى" كما في هذه الآية أي لما خلق تعالى الأرض قصد إلى خلق السموات فسواهن سبع سماوات فخلقها وأحكمها وأتقنها وهو بكل شيء عليم.[36]

4.1.5. بلاغة الكلمات:

وقف عند قوله تعالى ﴿ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ ،[37] قائلا: إن كلمة"أقبل" تفيد هنا التأمين وعدم الخوف، لأن معناها يقتضي الأمر بإقباله ويجب عليه الامتثال، ولكنه قد يكون إقباله وهو لم يزل في الأمر المخوف، فقال " ولاتخف "أمر له بشيئين إقباله وأن لايكون في قلبه خوف، ولكن يبقى احتمال وهو أنه قد يقبل وهو غير خائف، ولكن لا تحصل له الوقاية والأمن من المكروه، فلذلك قال" إنك من الآمنين، "فحينئذ اندفع المحذور من جميع الوجوه.[38]

ومثال آخر لبلاغة الكلمات ذكره السعدي قوله تعالى ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا** ﴾ ،[39] فيقول إن إضافة العصيان إلى اسم الرحمن إشارة إلى أن المعاصي تمنع العبد من رحمة الله، وتغلق عليه أبوابها، كما أن الطاعة أكبر الأسباب لنيل رحمته.[40]

2.5 .الوجوه البلاغية في تفسير السعدي:

تناول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره الأساليب البلاغية والبيانية، ولكنه لم يكثر بها كسائرالمفسرين؛ لأن هدفه هو المعنى وبيان الهداية في القرآن الكريم.

1.2.5 .التقديم والتأخير:

إن التقديم والتأخير باب عديد الفوائد كثير المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر القارئ عن بديعة، ويفضي إلى لطيفه يروقه مسمعه، ويلطف لديه موقعه، وسبب ذلك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان.[41] ولكن من البلاغة في اللغة تقديم الخبر على المبتدأ وتقديم المفعول على الفاعل أو على الفعل لغرض بلاغي، وليس جزافاً. والشيخ السعدي وقف في تفسيره مع آيات الكتاب الكريم مبينا ما فيها أسرار التقديم

والتأخير، كما أشار ذلك في قوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾،[42] فيبين السعدي: أين نحن نخصك وحدك يا رب بالعبادة والاستعانة؛ لذلك قدم المعمول على العامل ليفيد الحصر،[43] حيث قدم هنا المفعول على الفاعل للاختصاص والقصر، وفي قوله تعالى ﴿ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾،[44] يقول السعدي: أن يقصد العبد وجه الله وحده فهو الإخلاص، فتقديم المعمول يؤذن بالحصر؛[45] فتقديم المعمول وهو الجار والمجرور " له "يفيد الحصر والقصر، أي حصر وقصر العبادة على الله تعالى وحده لا شريك له كما أنه أتى باسم الفاعل" عابدون" ليدل على الثبات والاستقرار ليدل على أن ذلك صفة لازمة فيهم لا تتغير.[46]

2.2.5 .أسلوب الحذف:

الحذف أسلوب بلاغي يقتضيه السياق أحياناً لغرض بلاغي فيستعمل لتقوية المعنى أو للتهويل أو للتشويق، ويفهم ذلك من سياق الكلام ودلالته. قد جعل الإمام الرماني الحذف أحد أنواع الإيجاز فقال: الإيجاز على وجهين: حذف وقصر. فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام وبين الفائدة من الحذف، بأنه تذهب فيه النفس كل مذهب.[47]

وقد اهتم الشيخ السعدي بإبراز مواطن الحذف عند تفسيره في الآيات الكريمة، كحذف الفعل، والفاعل، وحذف جواب الشرط، وحذف المفعول، وحذف المضاف، وحذف جواب القسم، وحذف الجملة، وحذف المبتدأ والخبر. ومن نماذج الحذف التي ذكرها السعدي حذف المعمول لإرادةالعموم:

-مثل قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾،[48] ففي هذه الجملة ذكر "هدى" وحذف المعمول لله لإفادة العمومية، فلم يختص الهدى لمصلحة شخص معين أو لمنفعة أمة معينة، وإنما الهدى لجميع مصالح الدارين الدنيا والآخرة.[49]

- كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾.[50] ففيها حذف المعمول به لترغيب المؤمنين على النفقات في جميع طرق الخير؛ لأن حذف المعمول يفيد التعميم ويذكرهم نعمته عليهم بأنه هو الذي رزقهم، ونَوّع عليهم النعم.[51]

3.2.5. بلاغة الحرف:

إن البلاغيين كشفوا بأن الحرف له دور في آداء معان أخرى مع غيره من الألفاظ، وله معنى ويؤدي غرضاً بلاغياً حسب موقعه في الجملة، والممعن للقرآن الكريم يرى أنه سخر

بعض الحروف مع بعض الألفاظ لتؤدي معنى خاصا لايحصل إلا مع هذه الحروف، وقد ذكر السعدي بعض الأمثلة ليبين هذا ومنها:

أ-عند تفسيره لقوله تعالى ﴿...وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾،[52] يقول: ولأن النفقة تعتبر قربة من قربات إلي الله تعالى لذلك أتى بـ "من" لينبهم أنه لم يرد منهم الإجزاءً يسيراً من أموالهم من غير منّ منهم ولا إجبار.[53]

ب- كما فسر السعدي قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾،[54] فيقول قد جاءت الآية بـ"على" في هذا الموضع، التي تدل على الاستعلاء، بينما جاء في الضلالة بـ"في" كما في قوله تعالى ﴿ وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾،[55] لأن صاحب الهدى يستعلى بالهدي يرتفع به، وصاحب الضلالة ينغمس فيه فهو محتقر.[56] فيظهر لنا أن الحرف العربي له معنى خاص به، فتأتي هذه الحروف لبيان المعنى القرآني، لا لتخدم الألفاظ.

4.2.5. أسلوب الاستفهام:

الاستفهام معناه الحقيقي هو طلب معرفة شيء مجهول ويحتاج إلى جواب، ولكنه قد يخرج منه ويستعمل في غرض آخر وهو الاستفهام البلاغي، الذي لا يتطلب جواباً و إنما يحمل من المشاعر أغراضا بلاغية عديدة،[57] منها: التشويق- الإنكار- النفي- التمني –التقرير- التهكم والسخرية- التعجب – المدح والتعظيم – الاستبعاد – الأسى والحسرة- التسوية وغيرها من الدلالات التى تفهم من خلال السياق وتعرف من خلال الموقف الذى يقال فيه . وقد ذكر السعدي الأغراض البلاغية التي للاستفهام الواردة في القرآن الكريم، ومثل ذلك في قوله تعالى﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾،[58] يقول: هذا استفهام بمعني التعجب والتوبيخ والإنكار، أي كيف يحصل منكم الكفر بالله الذي خلقكم من العدم، وأنعم عليكم بأصناف النعيم، ثم يميتكم عنداستكمال آجالكم، ويجازيكم في القبور، ثم يحيكم بعد البعث والنشور ثم إليه ترجعون.[59]

فالاستفهام عادة غرضه طلب المعرفة والعلم، ولكنه أحياناً يخرج عن غرضه الأصلي(الاستفهام) إلي غرض بلاغي، إما للتعجب أوالإنكار أوالتوبيخ أوتقرير الحقائق والمعتقدات.

كما في قوله تعالى ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾،[60] يقول: لما أقام فيما تقدم الحجج على أهل الكتاب، فمع أنهم قبل ذلك يعرفون النبي ﷺ كما

يعرفون أبناءهم، فوبخ الله تعالى المعاندين منهم بكفرهم بآيات الله وصدهم الخلق عن سبيل الله لأن عوامهم تبع لعلمائهم.[61]

5.2.5. أسلوب التوكيد:

التوكيد ما يذكر تقريراً أو تأكيداً لما قبله، ويُفيد تقوية المؤكد وتمكينه في ذهن السامع وقلبه، وقد أورد السعدي أساليب التوكيد في القرآن الكريم وبين أسرارها، فمن نماذج التوكيد في تفسير السعدي:

-في قوله تعالى ﴿ **وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ...** ﴾،[62] يقول: وكان تحويل قبلة المسلمين إلى الكعبة حرجا وفتنة لأهل الكتاب والمنافقين والمشركين، فأكثروا فيه من الكلام والشبه، فبسطها الله الكلام وبينها أكمل بيان، وأكدها بأنواع من التأكيدات في هذه الآية، فجاء الأمر بها ثلاث مرات، مع كفاية المرة الواحدة، وهذه الآية أُمر فيها الرسول بالخصوص في " فولِّ وجهك "والأمة عموماً في قوله " فولوا وجوهكم ".[63]

-في قوله تعالى: ﴿**فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ**﴾،[64] يقول السعدي رحمه الله: إن الجملة "فسجد الملائكة كلهم أجمعون " تأكيد ليدل على الملائكة سجدوا جميعا لم يعص أحد منهم لامتثال أمر الله تعالى.[65]

ففي المثال الأول أكد التوجه إلى الكعبة توكيداً لفظياً للجملة ثلاث مرات؛ للدلالة على أهمية هذه القبلة حيث تبقى إلى يوم القيامة وفي المثال الثاني التوكيد فيه معنوي، حيث أكد بـ"كل "و"أجمع "، فالإشارة بـ"كلهم" إلى أن الملائكة سجدوا كلهم لم يتخلف أحد منهم ، وبـ "أجمعون " إلى أنهم سجدوا في آن واحد، وليس واحد تلو الآخر.

كما ذكر السعدي كثيرا من التوكيد اللفظي والمعنوي في القرآن الكريم ، فمن اللفظي في الجملة قوله تعالى ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** ﴾،[66] وقوله ﴿**الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ** ﴾.[67] ومن التوكيد المعنوي قوله تعالى: ﴿**وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾،[68] وقوله ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا** ﴾.[69]

3.5. القراءات القرآنية:

يُجمع المفسرون على أن القراءات القرآنية لها أهمية كبيرة في تفسير القرآن الكريم، والشيخ السعدي تناول هذا الجانب في تفسيره عند حاجته لبيان معاني القرآن، فذكر مثلا:

- تحديد الإخوة في آية الكلالة، عند قول الله تعالى: ﴿ **وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ** ﴾،70 قال السعدي رحمه الله في في معرض تفسيره ﴿**وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ** ﴾: "أي: من أم، كما هي في بعض القراءات. وأجمع العلماء على أن المراد بالإخوة هنا: الإخوة للأم".[71]

ذكر السعدي وجه القراءات القرآنية هنا زيادة: (من أم)، ونسبها لبعض القراءات، وهي قراءة شاذة، منسوبة لسعد بن أبي وقاص ﷺ، وأبي بن كعب ﷺ، وقد نسبها المحلي في "الجلالين" لابن مسعود ﷺ.[72]

- موضع القطع في حد السرقة عند قول الله تعالى: ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾.[73] مما ذكره السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: تحديد قطع اليد التي استوجبت الحد: هل هي اليمنى، أو اليسرى، أو كلتاهما باعتبار أن الآية جاءت بصيغة الجمع: ﴿ **أَيْدِيَهُمَا** ﴾؟، وقد يفهم من ظاهرها قطع اليدين، قال السعدي: "وهو قطع اليد اليمنى، كما هو في قراءة بعض الصحابة".[74] فوجه القراءات في هذه الآية عند السعدي هو قراءة (أيمانهما)، بدل (أيديهما)، ونسبها لبعض القراءات، وهي مشهورة عن ابن مسعود ﷺ، وهي شاذة، وأجمع القراء على قراءة: (أيديهما).[75]

6. خاتمة:

بعد هذا الجولة السريعة مع "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، لعبد الرحمن السعدي ومنهجه البياني يمكنني أن أسجل أبرز النقاط الرئيسية التي استنتجتها من خلال هذا البحث:

أولا: إن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة الدائمة في اللفظ والمضمون والأسلوب، فلا يجوز أن يتجرأ على تفسيره بدون علم وإلمام بلغات العرب وبيانها كما اتفق على ذلك المفسرون.

ثانيا: إن الاتجاه البياني للقرآن الكريم له منزلة عظيمة في تفسير القرآن الكريم؛ لأنه يكشف أسرار القران الكريم البلاغية، وبهذا الاتجاه يدرك القارئ النقاط البيانية والبديعية وأسرار نظم القرآن وأساليبه الخلابة وخصائص التعبير والأداء الفريدة.

ثالثا: إن التفسير البياني قد ظهر في الوجود منذ نزول الوحي على رسول الله ﷺ، ثم مر بأطوار عديدة عبر العصور المتعاقبة حتى وصل إلى العصر الحديث دون توقف في التأليف والبحث والتنقيب فيه .

رابعا: الشيخ السعدي أحد أبرز المفسرين في العصر الحديث الذين اهتموا ببيان معاني القرآن المكنونة ودلالته العميقة، وأسرار بلاغته، بجانب بمساهمته القيمة في العلوم الشرعية الأخرى.

خامسا:يعد كتاب "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" من أهم إنجازات الشيخ السعدي وأعظمها ، وقد فسر فيه القرآن الكريم بأسلوب عصري، سهل وواضح .

سادسا: تناول الشيخ السعدي الصور البلاغية والأساليب البيانية في تفسيره، ولكنه لم يكثر منها؛ لأن هدفه هو إظهار مقاصد القرآن واستخراج معانيه، فأبرز الوجوه البيانية الواردة في تفسيره هو دلالة ألفاظ القرآن الكريم، والنقاط البلاغية، والأسلوب القرآني.

سابعا: جمع الشيخ السعدي في تفسيره كثيرا من التحاليل اللغوية الدقيقة والاجتهادات المعمقة والترجيحات القيمة ما تفيد الباحثين في الدراسات القرآنية .

وفي النهاية أشكر الله تعالى وأثني عليه الخير كله على ما منّ عليّ ويسر لي وأعانني على إتمام هذا الجهد، وأتوجه بالدعاء إليه أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه كما أساله العون والتوفيق لخدمة كتابه العزيز وإعلاء كلمته العليا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

7. الهوامش والإحالات:

[1] - سورة الشعراء: 195.

[2] - الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط 2 ، 2988م، ج 1 ، ص 292.

[3] - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري الأفريقي، **لسان العرب**، دار صادر ، بيروت، 1388هـ-1968م، ج 1، ص 198.

[4] - الهاشمي، السيد أحمد ، **جواهر البلاغة**، مؤسسة المختار ، بيروت، ط3 ، 2010م ، ص 244 .

[5]- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني البصري ، **نظم القرآن** من تراث الجاحظ ، مكتبة الزهراء، الإسكندرية، مصر ، ص 54.

[6]- السامرائي، الدكتور فاضل صالح ، **على طريق التفسير البياني** ، ج1 ، ص 7.

[7]- سورة النحل: 44.

[8]- سورة البقرة: 187.

[9]- البيومي، الدكتور محمد رجب، **خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم**، مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، 1971م ص 12.

[10]- الرومي، الدكتور فهد عبد الرحمن سليمان، **بحوث في أصول التفسير ومناهجه**، مكتبة التوبة، الرياض، ط4، 1967م. ص107.

[11]- حفني، محمد شرف ، **إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق**، مكتبة الخانجي للنشر ، القاهرة ، مصر ، 1988، ص 54 .

[12]- البيومي ، الدكتور محمد رجب، **خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم**، مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، 1971م ، . ص 267و 262

[13]- المرجع نفسه بتصرف، ص 265 .

[14]- خالد السعيد، أساليب البيان في الكتاب والسنة، دار القرآن، جدة ، 1989م ، ص 45، بتصرف.

[15]- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت ، ط5، 2002م، ج5، ص34.

[16]- السعدي، عبد الرحمن، **مجموع الفوائد و اقتناص الأوابد**، تق: الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، دار ابن الجوزي، ط 1، 1998، م . ص7.

[17]- البسام، الشيخ عبد الله ، **علماء نجد خلال ثمان قرون** ، دار ابن تيمية، جدة ، 1987م ، ج 3 ، ص 218 .

[18]- آل الشيخ، الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف، **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، دار المنار للطباعة، الرياض، ط1، 1977م، ص256.

[19]- المصدر نفسه، ص259.

[20]- السعدي، عبد الرحمن، **مجموع الفوائد و اقتناص الأوابد**، ص26.

[21]- آل الشيخ، الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف، **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، ص262.

[22]- القاضي، الشيخ محمد بن عثمان، **روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوداث السنين**، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ج 1، ص 223.

[23]- سليم، ناصر العبد، **منهج الشيخ السعدي في تفسيره**، دار القيم، الرياض، 1977م ، ص259.

[24]- آل الشيخ ، الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف ، **مشاهير علماء نجد وغيرهم** ، ص259.

[25]- سورة الفاتحة: 4

[26]السعدي، عبد الرحمن، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2002، ص 30 .

[27]- سورة الأعراف: 159.

[28]- السعدي، عبد الرحمن، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، مؤسسة الرسالة، ص305.

[29]- سورة الحج: 29 .

[30]- السورة نفسها : 27 .

[31] - السعدي، عبد الرحمن، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مؤسسة الرسالة، ص538.
[32] - سورة البقرة :29.
[33] - سورة القصص: 14.
[34] - سورة طه : 5 .
[35] - سورة الزخرف :13
[36] - الآلوسي، **روح المعاني**، ج1، ص215؛ السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، مؤسسة الرسالة، ج1 ، ص 145.
[37] - سورة القصص :31.
[38] - السعدي، عبد الرحمن ، **تيسير الكريم الرحمن**، مؤسسة الرسالة، ج3 ص234.
[39] - سورة مريم :44.
[40] - السعدي ، عبد الرحمن **تيسير الكريم الرحمن**، مؤسسة الرسالة، ج4 ، ص102.
[41] - الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن ، **دلائل الإعجاز**، مكتبة الخانجي مطبعة المدني 2009م، ص 106
[42] - سورة الفاتحة :5
[43] - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ، **جامع البيان في تفسير آي القرآن**، توزيع: دار التربية والتراث - مكة توزيع: دار التربية والتراث - مكة ، ج1ص54 ؛ الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر، **مفاتح الغيب**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3 - 1420 هـ؛ ، ج1 ص254؛ الزمخشري ، **الكشاف**، ج1 ، ص61؛ الشوكاني ،**فتح القدير**، ج1 ، ص22.
[44] - سورة البقرة : 138 .
[45] - السعدي، **تيسير الكريم الرحمن** مؤسسة، الرسالة، ج1 ، ص10.
[46] - الآلوسي ،شهاب الدين محمود ، **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415 هـ، السعدي ، **تيسير الكريم الرحمن**، مؤسسة الرسالة، ج1 ، ص11.
[47] - الرماني، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، **النكت في إعجاز القرآن**، دار المعارف ، القاهرة ، 1979م، ص 71 .
[48] - سورة البقرة :2.
[49] - الآلوسي، **روح المعاني**ج1 ، ص110.
[50] - سورة البقرة : 254.
[51] -الآلوسي، **روح المعاني**، ج1 ، ص119.
[52] - سورة البقرة :3.
[53] - السعدي، عبد الرحمن ، **تيسير الكريم الرحمن**، مؤسسة الرسالة، ج1 ، ص33.
[54] - سورة البقرة :5.
[55] - سورة سبأ : 24 .
[56] - السعدي، عبد الرحمن، **تيسير الكريم الرحمن**، مؤسسة الرسالة، ج1 ، ص 76 .
[57] - الهاشمي، السيد أحمد، **جواهر البلاغة** ، المكتبة العصرية ، لبنان ، الطبعة السابعة ، 2002م ، ص 132.
[58] - سورة البقرة :28.
[59] -السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، مؤسسة الرسالة، ج1ص49؛ الآلوسي، **روح المعاني** ،ج1 ، ص21.
[60] - سورة آل عمران :101 .

[61]- أبو حيان ، **بحر العلوم** ، ج1 ، ص287؛ السعدي، عبد الرحمن ، **تيسير الكريم الرحمن**، مؤسسة الرسالة، ج1 ، ص259.

[62]- سورة البقرة :150 .

[63]- الرازي، **مفاتح الغيب**، ج4، ص137ومابعدها ؛ **السعدي تيسير الكريم الرحمن**، مؤسسة الرسالة، ج1، ص43.

[64]- الحجر : 30.

[65]- السعدي، عبد الرحمن، **تيسير الكريم الرحمن**، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2021، ج2 ، ص304، بتصرف.

[66]- سورة الشرح : 5-6 .

[67]- سورةالأعراف:92.

[68]- سورة يوسف :93.

[69]- سورة يونس :99 .

[70]-سورة النساء: 12.

[71]- السعدي، عبد الرحمن ، **تيسير الكريم الرحمن**، مؤسسة الرسالة، ج 1 ، ص 168.

[72]- مجموعة من المولفين ، **معجم القرارات القرآنية**، ج 2، ص 66.

[73]- سورة المائدة: 38.

[74]- السعدي، عبد الرحمن، **تيسير الكريم الرحمن**، ج 1 ، مؤسسة الرسالة، ص 213.

[75]- ابن جني، أبو الفتح عثمان، **المحتسب في تبيين شذوذ القراءات**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2 ، 1978م، ج 1، ص 34.

المجلد:2
العدد:1
الشهر والسنة: جمادى الآخرة 1447ه/ ديسمبر2025م
ص ص: 28-39

البشرى
للبحوث والدراسات
مجلة علمية دولية سداسية محكّمة
El-Bushra for Research and Studies a half-yearly international peer-reviewed Scientific Journal
ISSN : 2992-1262

رمزية حضور الشخصيات الثورية الجزائرية في الشعر العربي المعاصر

The symbolic presence of Algerian revolutionary figures in contemporary Arabic poetry

زرارقة الوكال، أستاذ التعليم العالي،المركز الجامعي آفلو-الجزائر
l.zerarka@cu-aflou.edu.dz

ملخص:

شكلت الثورة الجزائرية زخما نضاليا وثوريا كبيرا للأمة العربية في مواجهة أعدائها، ومعجزة عربية في استرجاع السيادة والكرامة والعزة، وأمام عظمتها انفجر الإبداع الشعري الجزائري خاصة والعربي عامة إزاءها، متجاوبا مع أحداثها، ومتفاعلا مع ملحمتها، وتحولت بطولاتها وشهداؤها وأماكن البطولة فيها إلى رموز أسطورية استدعاها الشاعر العربي المعاصر لتشخيص واقع الأمة المريض. وقد استطاعت الثورة الجزائرية أن تلد أعلاما حولتهم مواقفهم وبطولاتهم وتضحياتهم وشجاعتهم إلى رموز دالة على ما عرفوا به من صفات العظمة والإباء أمثال "ديدوش مراد"، و"العربي بن مهيدي"، و"مصطفى بن بولعيد"، والجميلات المجاهدات. وقد حمل بذلك الشعر العربي المعاصر الموظف للرمز الثوري الجزائري ومنه رمز الشخصيات الثورية دلالات رمزية متعددة تجسد التجربة الشعرية العربية المعاصرة، ومعاناة الذات الشاعرة في مواجهة الاستبداد والتسلط. ومن ثمّة عبرت رمزية الثورة الجزائرية من إنسان وجغرافيا عن دلالات رمزية متعددة مثل الإرادة الصادقة، والرفض، والمقاومة، والتمرد، والبعث، والتضحية وغيرها من الدلالات.

كلمات مفتاحية: الثورة، الرمز، الشخصيات، البطولات، الدلالات.

Abstract:

The Algerian revolution represented a great revolutionary momentum for the Arab nation in confronting its enemies, and an Arab miracle in regaining sovereignty, dignity and pride. Faced with its greatness, Algerian poetic creativity in particular and Arab poetic

creativity in general exploded, responding to its events and interacting with its epic. Its heroic deeds, martyrs and places of heroism were transformed into legendary symbols invoked by the contemporary Arab poet to diagnose the ailing reality of the nation. The Algerian revolution was able to give birth to figures whose stances, heroism, sacrifices and courage transformed them into symbols indicating the qualities of greatness and pride they were known for, such as Didouche Mourad, Larbi Ben M'hidi, Mustafa Ben Boulaid and the beautiful female fighters. Thus, contemporary Arabic poetry, which employs the Algerian revolutionary symbol, including the symbol of revolutionary figures, carries multiple symbolic connotations that embody the contemporary Arab poetic experience and the suffering of the poetic self in confronting tyranny and authoritarianism. Hence, the symbolism of the Algerian revolution, both in terms of its people and its geography, conveyed multiple symbolic connotations, such as sincere will, rejection, resistance, rebellion, resurrection, sacrifice, and other connotations.

Keywords : revolution; symbol; characters ; heroism; connotations.

1.تمهيد:

تعدّ الثورة الجزائرية ضد المحتل الاستيطاني الفرنسي من أعظم الثورات في القرن العشرين، على المستويين القومي والعالمي، فعلى المستوى العالمي رفعت التحدي أمام القوى العالمية الامبريالية المتسلطة على الشعوب الضعيفة، وأمدّت المستضعفين المقهورين المضطهدين في العالم بالإرادة والعزيمة لفك القيود المسلطة عليهم، وأمدتهم بدرس أنَّ إرادة الشعوب من إرادة الله وأن إرادة الله لا تقهر، وعلى المستوى القومي شكلت زخما نضاليا وثوريا كبيرا للأمة العربية في مواجهة أعدائها، ومعجزة عربية في استرجاع السيادة والكرامة والعزة، وأسقطت جدار الخوف أمام الشعوب العربية المستضعفة في مواجهة جلاديها فغدت قدوة لكل مظلوم مقهور في طلب الشهادة من أجل الحياة، وأعادت الثقة للأمة العربية بعد نكبة فلسطين وهزيمة العرب فيها من قبل العصابات الصهيونية على أنها قادرة على تحقيق النصر إذا ما توافرت لها الظروف الملائمة والقيادة المخلصة.

لقد كان للثورة الجزائرية الأثر الكبير في نفسية كل إنسان متعطش للحرية والانعتاق، و أمام عظمتها انفجر الإبداع الشعري الجزائري خاصة والعربي عامة إزاءها،

متجاوبا مع أحداثها، ومتفاعلا مع انتصاراتها، ومؤازرا لها بتسجيل بطولاتها ومتغنيا بانتصاراتها، ومشاركا جراحها وأفراحها.

وعكس الشعر العربي المعاصر صدى هذه الملحمة التي تجسدت في دواوين الشعراء الذين واكبوها بأحاسيسهم ومشاعرهم، وغدت الثورة الجزائرية في شعرهم إنسانا وجغرافية رحما ولودا لرموز دالة عما يعيشه الشاعر العربي في واقعه الوطني والقومي والإنساني.

2. استحضار الشخصيات الثورية الجزائرية في الشعر العربي المعاصر:

لقد كان لعظمة الثورة الجزائرية الأثر البالغ في تفجير الإبداع الشعري العربي مؤكدا صدق تجاوب الشعراء العرب مع ملحمتها وسعيهم لمساندتها بالكلمة لأنهم انطلقوا في تفاعلهم معها من " أنَّ الجزائر جزء من الأمة العربية وأنَّ نصرها هو نصر للعرب جميعا، وكان فخرهم بثورة نوفمبر واعتزازهم بها هو تعبير عن إيمانهم بعروبة الجزائر أولا وتقديسا للحرية ثانيا وإيمانا بالقيم الإنسانية ثالثا."[1] وغدت الثورة الجزائرية في الشعر العربي المعاصر بعظمتها وجلالها هي القضية الأساسية التي سيطرت على المنجز الشعري العربي المعاصر اهتماما وتأملا وتفكيرا "وقد كان كافيا للشعر إزاء الثورة أن يستلهم الواقع، ويكفيه رضى أن يرقى إلى روعة هذا الواقع. "[2] وتجسَّد ذلك في إشادة الشعراء العرب بثورة الجزائر والتغني بها و بأمجادها وملاحمها لدوافع كثيرة ومتعددة ومنها " الإيمان بأن الجزائر ستكون رصيد تحرير الأمة العربية من الصهيونية والهيمنة الاستعمارية واستغلال الامبريالية."[3] إلى جانب أنَّ الثورة الجزائرية في بُعْدِها القومي قد منحت الثقة المفقودة في نفسية الإنسان العربي ليتجاوز جدار الصمت والخوف ويكسر قيود الاحتلال الداخلي والخارجي لتحقيق كرامته وإنسانيته و وجوده.

وقد عكس المتن الشعري العربي المعاصر المتغني بالثورة الجزائرية صدى هذه الملحمة في نفسية الشعراء العرب وتجاربهم فقد واكبوها بأحاسيسهم ومشاعرهم فتزوَّد شعرهم طيلة فترة الثورة وبعدها بزخم إلهامي كبير إلاَّ أنَّ " يقينه في حرية الغد لم يكن أقل سكينة واطمئنانا، وكانت الثورة ببطولاتها ومآسيها طيلة السبع الشداد ترفد هذه السكينة بمزيد من العمق، ومزيد من البعد."[4] وغدت الثورة الجزائرية رموزا دالة , ومعادلات موضوعية وأقنعة معبرة عما تعيشه الذات العربية الشاعرة في واقعها القومي.

فمثلا في سوريا فقد وصل عدد القصائد التي نظمت في الجزائر وثورتها إلى مائة وثمان وتسعين (198) قصيدة، أنشدها أربعة وستون (64) شاعرا وشاعرة، ينتمون إلى إحدى وعشرين مدينة وقرية سورية أشهرهم سليمان العيسى، ونزار قباني، ومحمد الحريري وهذا وفق الدراسة التي قام بها الباحث الجزائري الدكتور عثمان سعدي الذي قام كذلك بجمع الشعر العراقي حول الثورة الجزائرية في دراسة موسومة بـ" **الثورة الجزائرية في الشعر العراقي**" ضمت مائتين وخمسا وخمسين 255 قصيدة نظمها 107 شاعرا وشاعرة، كلهم من العراق، من أمثال :**محمد مهدي الجواهري، وبدر شاكر السياب، وعبد الوهاب البياتي، ونازك الملائكة** وغيرهم.

وتحولت الثورة الجزائرية وبطولاتها وشهداؤها وأماكن البطولة فيها إلى رموز أسطورية استدعاها الشاعر العربي المعاصر لاستنطاق تجربته في واقعة الذاتي والجماعي، ولذلك وجدنا أن الشعر العربي المعاصر الموظف للرمز الثوري الجزائري يحمل دلالات رمزية متعددة تجسد التجربة الشعرية العربية المعاصرة، ومعاناة الذات الشاعرة في مواجهة الذات المتسلطة. ومن ثمّة عبرت رمزية الجزائر وثورتها عن دلالة الإرادة الصادقة، والرفض، والمقاومة، والتمرد، والبعث، والتضحية وغيرها من الدلالات.

ومن معالم الثورة الجزائرية التي كان لها صدى واسعا في الشعر العربي المعاصر وتحولت فيه إلى رموز دالة ومعادلات موضوعية بعض الشخصيات الجزائرية الثورية التي مثلت صمود الشعب وإصراره على انتزاع حريته واسترجاع سيادته، حولتهم مواقفهم وبطولاتهم وتضحياتهم وشجاعتهم إلى رموز دالة على ما عرفوا به من صفات العظمة والإباء أمثال "ديدوش مراد"، و"العربي بن مهيدي"، و"مصطفى بن بولعيد"، و"جميلة بوحيرد" وجميلات أخريات. ومن هذه الشخصيات التي كان لها حضور واسع ومميز في الشعر العربي المعاصر المجاهدة جميلة بوحيرد وجميلات أخريات جاهدن وضحين واعتقلن وذقن أنواع التعذيب والتنكيل من أمثال جميلة بوباشا وجميلة بوعزة . وتعددت دلالة جميلة الرمزية وتنوعت " واستطاع الشاعر المعاصر أن يجعل من شخصية جميلة بوحيرد شخصية أسطورية." [5] ونتيجة لما قدمته جميلات المجاهدات من مواقف بطولية في مواجهة الاستكبار الفرنسي كواحدات من هذا الوطن الذي قدَّم أبناؤه من رجال ونساء تضحيات جسام لاسترجاع السيادة واسترداد الحرية ولذلك "لم تعد جميلة مجرد مناضلة وطنية عرفتها ثورة

الجزائر، بل صارت رمزا للنضال الإنساني في سبيل التحرر.."[6] وقد كان اهتمام الشعراء العرب بهذا الرمز النضالي في إطار تمجيدهم للثورة الجزائرية وصانعيها فحديثهم عن جميلة " كان تمجيدا لنضال المرأة الجزائرية فالنساء الجزائريات صغن من قطع الحديد .. وهن يتزين لا بالجواهر وإنّما بالشجاعة .. ويضئن للرجال جوانب الطريق المؤدية للخلود...".[7]

ومن الدلالات الرمزية التي حفل بها هذا الرمز في الشعر العربي المعاصر دلالة التضحية في سبيل تحقيق الغايات السامية والقيم الإنسانية الفاضلة وإسعاد الآخرين وهذا ما يؤكده الشاعر عبد المعطي حجازي الذي استدعى هذا الرمز الثوري في قصيدة بعنوان (القديسة) فهو يراها مثل القديسة التي طلقت الدنيا ومفاتنها وبهارجها في سبيل إدخال السعادة على الآخرين إلى جانب ما تحمله من خير وفضيلة وعفة وطهارة :

لم تتحسس صدرها
حين اغتنى، و صار رمانا
و لم تكلم في أمور الحب إنسانا
فقد قضت عمرها
حاملة رسالة من التلال
إلى مخابئ الرجال في المدينة
قديستي ... كان اسمها جميلة [8]

وتتحوّل جميلة إلى دلالة الوطن القومي الذي انتهك عرضه، وسلبت براءته، وسرقت بسمته، وبقي هو لوحده مدافعا عن ذاته، مضحيا بحياته دفاعا عن وجوده وهويته وكرامته، في وقت تقاعس أبناؤه عن نصرته والدفاع عنه، والذود عن حياضه، وهم معجبون بصموده ومقاومته يهتفون له بالنصر ويتغنون ببطولاته، وينشدون له أناشيد الفخر والاعتزاز به من بعيد وهذا ما تراه الشاعرة العراقية نازك الملائكة في رمز جميلة :

جميلةُ، تبكين خلف المسافاتِ، خلف البلادْ
وتُرخين شعرَكِ، كفَّكِ، دمعكِ فوق الوساد
أتبكين أنتِ، أتبكي جميله؟
أما منحوك اللحون السخيّات والأغنياتْ؟

ففيم الدموع إذن يا جميله؟
ونحن منحنا لوصف جراحِكِ كلَّ شفهْ
وجرَّحَنا الوصفُ خدَّش أسماعنا المرهفه
و أنت حملتِ القيود الثقيله
وحين تحرَّقتِ عطشى الشّفاهِ إلى كأس ماءْ
حشدنا اللّحون وقلنا سنَسكِبها بالغناءْ
وقلنا: لقد أرشفوها الدماءَ سقوْها اللهيبْ
وقلنا: لقد سمَّروها على خشبات صليب
ورحنا نغنّي لمجد البطوله
تعيش جميله، تعيش جميله.[9]

ويستغل الشاعر العربي **بدر شاكر السياب** رمز جميلة الجزائر والثورة والمقاومة ليبكي واقع العرب الذي هو فضاء للاستعباد والاستبداد والانسداد والخنوع والاستسلام، لكنَّه يرى في الثورة الجزائرية بداية لحلحلة هذا الواقع وتغييره، وإذابة تجمده وجليده، وبعث مواته:

لا تسمعيها .. إنَّ أصواتنا
تحزي بها الريح التي تنقل،
باب علينا، من دم، مقفل
ونحن نحصي، ثمَّ، أمواتنا.
الله لولا أنت يا فادية
ما أثمرت أغصاننا العارية
أوزنبقت أشعارنا القافية
إنا هنا .. في هوَّة داجية[10]

فالثورة الجزائرية من خلال رمز جميلة في قصيدة " **السياب"إلى أختي جميلة"** تجسِّد واقعين ، واقع من اليأس والقنوط والإحباط وهو واقع ثابت:

ما طاف لولا مقلتاك الشعاع
يوما بها، نحن العراة الجياع،

لا تسمعي ما لفَّقوا، ما يذاع،

ما زينوا، ما خطَّ ذاك اليراع

إنا هنا كوم من الأعظم لم يبق فينا من مسيل الدم

شيء نروي منه قلب الحياة.[11]

وواقع ثان خلقته الثورة الجزائرية يحمل بذور أ مل في الخلاص من واقع الموت والفناء وهو واقع متغير ، ولذلك فقد حملت الثورة الجزائرية كل معاني الفخر والاعتزاز ، والثناء والإكبار، وشكلت القدوة في التغيير والثورة والتحرر:

لك الغد الزاهي كما تشتهين،

و أنت إذ أحسست، إذ تسمعين،

تعلو بك الآلام فوق التراب

فوق الذرى، فوق انعقاد السحاب،

تعلين حتى محفل الآلهة

كالربَّة الوالهة،

كالنسمة التائهة. 12

كما أنَّ الثورة الجزائرية دفعت بفعل المقاومة إلى الأمام وفتحت أمام الشعوب العربية المستضعفة التمرد على ظالميها ومستعبديها، وحركت سكونها، وأعادت الثقة في فعل المقاومة من جديد لاسترداد الحقوق واسترجاعها، وأصبحت بهذه الرمزية قبلة لكل ثائر، وقدوة لكل مقاوم، وأسوة لكل مناضل وفي ذلك يقول الشاعر محمود درويش مستدعيا جميلة رمزا للثورة والمقاومة في قصيدته "نشيد الرجال" :

فكل تمرد في الأرض

يزلزلنا

و كل جميلة في الأرض

تقبلنا

وكل حديقة في الأرض

نأكل حبة منها

وكل قصيدة في الأرض إذا رقصت نخاصرها

وكل يتيمة في الأرض إذا نادت نناصرها. [13]

ومن الدلالات الرمزية المتعددة التي أخذتها رمزية "**جميلة**" دلالة الصمود فقد كان لهذه الدلالة في جل القصائد العربية التي استدعت رمز جميلة حضور مكثف، فجميلة الرمز هي ثورة على الطغيان ومقاومة للتجبر والبغي والظلم، الذي تمثله قوى الاستكبار العالمي هكذا يتمثل الشاعر **محمد الفيتوري** جميلة :

(...) لا تدعي نقمتهم تقتلك

لا تدعي وحمتهم تغسلك

إنك قبر الامبراطورية

إنك تسقين بآلامك

أشعة الشمس الجزائرية

إنك تمشين بأقدامك

فوق جلال الامبراطورية 14

وفي الدلالة نفسها (دلالة الصمود والعطاء) يسمو بدر شاكر السياب بجميلة إلى مصف القداسة فيشبهها بالربَّة البابلية (عشتار) إلهة الخصب والحب والإحسان، و يرى أن عطاء جميلة لوطنها وقوميتها وإنسانيتها فاق ما قدمته عشتار لعابديها. كما يشبهها أيضا بالمسيح الذي صلب من أجل عقيدته .. وهي تتحمل العذاب من أجل قضيتها:

عشتار أم الخصب، والحب، والإحسان، تلك الربة الوالهة

لم تعط ما أعطيت، لم ترو بالأمطار ما رويت، قلب الفقير

يا أختنا المشبوحة الباكية

أطر افك الدامية

بقطرن في قلبي ويبكين فيه

لم يلق. ما تلقين. أنت المسيح

أنت التي تفدين جرح الجريح[15]

وبنبرة نلتمس فيها مرارة الواقع القومي العربي المنتكس والمنكوب والمغلوب على أمره، وبنبرة مصبوغة باليأس من التقاعس العربي في مناصرة قضاياه القومية ومنها الثورة الجزائرية والسير على نهجها لإحداث التغيير المأمول والمنتظر ليحقق للعرب وجودهم، وكرامتهم، وسيادتهم، وإنسانيتهم، يستدعي الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي رمز جميلة الجزائر والثورة ليعبر عن هذا الهم العربي الذي بدأت سحبه تنقعش في الجزائر ، معبرا من خلال ذلك عن دلالة الاعتزاز بهذه الثورة التي يعجز اليراع عن التعبير عنها:

يا جميلة

إنَّ ثلجا أسودا

يغمر بستان الطفولة

إنَّ برقا أحمرا

يحرق صلبان البطولة

إنَّ حرفا

ماردا

يولد في أرض الجزائر

يولد الليلة

لم تظفربه ريشة شاعر[16]

وكان للثورة الجزائرية الأثر الفاعل في تحريك الواقع الشعري الجزائري باستلهام الرصيد التاريخي الذي عرفته الجزائر في تاريخ صراعها مع أعدائها وتاريخ مقاومتها وممانعتها وكذا تاريخ الأمة العربية الزاخر بالأمجاد والبطولات، واستطاعت الثورة الجزائرية بانجازاتها وانتصاراتها وبطولاتها أن تُفَجِّر عواطف الشعراء الجزائريين بشعر ثوري سجل انتصاراتها

الثورة و بشر باسترجاع السيادة المسلوبة، وتغنى بالوطن و الحرية، وشارك المضطهدين الصامدين الصابرين آلامهم، ومجد الجهاد والاستشهاد.

ومن معالم شعر الثورة تمجيده للبطولات التي تحولت إلى أساطير في عظمتها وشموخها، وفي رهبتها وهيبتها، يستدعيها الشاعر ليجعل منها دلالة رامزة للانعتاق وتخطي مظاهر الظلم والقمع والاضطهاد يقول الشاعر **أبو القاسم سعد الله**:

وهيهات. يا ألف قفل حديد
ويا ألف سوط شديد ويا ألف زنزانة مظلمة
ستنهار جدرانك الشامخة
و أقفالك المحكمة
كأمس البعيد
بأسلحة الظافرين
بأيد غلاظ شداد
بأيدي الجموع الغضاب
ستغدو من الذكريات[17]

ومن مشاهد البطولات التي خلدها الشعر الجزائري لأبعادها ودلالاتها الشهادة التي يعطيها سموا وقداسة وخلودا، ويرسم لها لوحة ألوانها قيم إنسانية مجسدة حقيقة الحياة في فطرتها وصفائها وهذا ما تجسد في قصيدة " **الذبيح الصاعد**" لمفدي زكرياء:

قام يختال كالمسيح وئيدا   يتهادى نشوان يتلو النشيدا
باسم الثغر كالملائك أو كالطـ   ـفل يستقبل الصباح الجديدا
شامخا أنفه جلالا وتيها   رافعا رأسه يناجي الخلودا[18]

كما احتفى الشعر الجزائري الثوري ببطولات المرأة الجزائرية التي حولتها مواقفها وتحديها وصمودها وشجاعتها إلى رموز دالة للتضحية والعطاء، وكان لجميلات الجزائر حضور واسع في المتن الشعري الجزائري الحديث الذي يعالج مأساة جميلة المجاهدة" بنفس الروح المتسامية، والتصعيد البطولي، ويهلل للموتة الشريفة تقترب من إحدى بطلات الجزائر، ويحدو بـ (جميلة) بما حدا به الشهيد (زبانة)، ويعتز بها قربانا جديدا على مذبح الحرية."[1] [19] يقول صالح باوية:

يا جميلة

أنت معنى عربي ، لم تصوره حكاية

ليس في أعماقه لون نهاية

أنت معنى عربي ، يرضع الإنسان أسرار البقاء

يشرد التاريخ في أعماقه حين تنادين إلى ثأر اللقاء [20]

3.خاتمة:

إنَّ الحديث عن الدلالات الرمزية للثورة الجزائرية في الشعر العربي المعاصر أكبر من أن تحتويه مداخلة في صفحات بسبب المادة الشعرية الكبيرة التي تضمنت أحداث الثورة الجزائرية وتغنت بها، وبما خلفته هذه الثورة في نفسية الإنسان العربي. إنَّ الحضور الشعري العربي المكثّف المتغني والمعتز بالثورة الجزائرية يدل على أصالة هذه الثورة، وأصالة انتمائها وهويتها، وصدقها، فهي ثورة جاءت بعد مخاض عسير، وتضحيات جسام، وسنين حبلى بالعمل المقاوم الذي لم ينقطع وإن اختلفت أساليبه وتنوعت. ولكن أحرار الجزائر خلال هذا السير المقاوم في استرجاع سيادتهم لم ييأسوا وراحوا متسلحين بإيمانهم بعدالة قضيتهم، ومتسلحين بماضيهم الوطني و القومي العريق المليئ بالتحديات والصراعات والانتصارات والبطولات، استمدوا منه سلاحهم الذي قاوموا به عدوَّهم. إلى جانب أنّ الثورة الجزائرية حملت عبء الأمة العربية والإسلامية التي تكالب عليها الأعداء وتآمروا، فكانت ثورة كل العرب والمسلمين، ولذلك وجد فيها المثقفون العرب وعلى رأسهم الشعراء متنفسا لوجدانهم وقناعاتهم ورؤاهم وفلسفاتهم .

---

1 -ركيبي عبد الله، الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1982م، ص20.

2- خرفي صالح، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص233.

3 - المرجع نفسه، ص20.

4 - خرفي صالح، الشعر الجزائري الحديث، ص271.

5 - عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط2، دار العودة، بيروت، 1981م، ص217.

6- المرجع نفسه، ص 218.

7- عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، ج1 ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1975 م، ص 110.

8 - أحمد عبد المعطي حجازي، الديوان، دار العودة، بيروت، 1973 م، ص 216 .

9 - عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي ، ج2 ، ص416- 417.

10- عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي ، ج1 ، ص239.

11 - عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، ص239.

12 - عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي،ج 1 ، ص238.

13 - محمود درويش، الديوان ، المجلد 1 ، ط 14، دار العودة، بيروت، لبنان، 1994، ص 150.

14 - محمد الفيتوري،الديوان، ط3 ، دار العودة، بيروت ،1979م ، ص 306 ،304.

15 - عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي ،ج 1 ، ص. 114.

16- عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي ،ج 1 ، ص.119-120.

17 -أبو القاسم سعد الله، النصر للجزائر، دار الهنا للطباعة، مصر ، 1956 ، عن صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، ص 243.

18 -مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص9.

19- صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1984م ، ص249.

20 -المرجع نفسه، ص 250.

المجلد:2
العدد:1
الشهر والسنة: جمادى الأخرة 1447ه/ ديسمبر2025م
ص ص: 40- 58

البشرى
للبحوث والدراسات
مجلة علمية دولية سداسية محكّمة
El-Bushra for Research and Studies a half-yearly international peer-reviewed Scientific Journal
ISSN : 2992-1262

الإستراتيجية الإعلاميّة لحماية حقوق الأطفال في الواقع والمأمول

Media strategy to protect children's rights in reality and in hopes

محمد أبو طه المكي، المحاضر بقسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الإسلامية شيتاغونغ، بنغلاديش
twahamakki82@iiuc.ac.bd

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى إبراز التوعية بحقوق الأطفال في الواقع والمأمول، وتعزيز الوعي لدى الجمهور بأهمية حمايتهم، وتشجيع الحوار العام حول هذا الموضوع، وضمان وجود بيئة إعلامية تعتمد على المعلومات الدقيقة والموثوقة حول حقوق الأطفال، وتقييم الآليات الوطنية لحماية حقوق الأطفال، وإظهار دور الإعلام في حماية حقوق الأطفال، ودور المنظمات الوطنية في حماية حقوق الأطفال، وبيان انضمام فلسطين لاتفاقية حقوق الأطفال، ووجوب تطبيق نصوص اتفاقية حقوق الأطفال، وإنشاء آليات وطنية لحماية حقوق الأطفال.

وانتهى البحث بعد وضاحة ذلك إلى بيان مسؤولية الدول الأطراف تجاه تنفيذ الاتفاقية، باعتبارها ملزمة بالوفاء بالتزامات الاتفاقية، وأن مسؤولية الدول لا تتوقف عند تنفيذ التزاماتها فحسب، بل تتعدى إلى إنشاء الآليات الوطنية لحماية حقوق الأطفال. ولضمان نجاح هذه الآليات لابد أن يسبقها توفير الضمانات القانونية والسياسية لذلك، ويقترح الباحث تعزيز دور مؤسسات المجتمع المدني والرعاية الاجتماعية وتقويتها في تثقيف وتوعية الأطفال بحقوقهم، ومساعدة وتأهيل الأحداث الجانحين في الاندماج مع المجتمع. وفرض آليات للرقابة الموفرة لحماية حقوق الأطفال بما يشتمل المؤسسات والوزارات والهيئات المختصة.

ويقترح البحث أنه يمكن تحقيق ذلك من خلال حملات إعلامية متعددة الوسائط تستهدف الأهل والمعلمين والمجتمع بشكل عام. ويمكن استخدام منصات التواصل الاجتماعي والحملات الإعلامية لنشر قصص نجاح، وتوعية الناس بأضرار العنف ضد الأطفال وضرورة توعيتهم للحماية. ويجب تشجيع الحوار العام حول حقوق الأطفال والتحديات التي تواجهها. ويجب على وسائل الإعلام تبني معايير صارمة

للدقة والموثوقية في تقديم المعلومات حول حقوق الأطفال. ويمكن تنظيم مسابقات إعلامية أو ورش عمل لتشجيع المبدعين على إنتاج محتوى إعلامي يعكس حقوق الأطفال ويساهم في تعزيزها.

كلمات مفتاحية: الاستراتيجية، الإعلاميّة، الحماية، الحقوق، الأطفال.

Abstract:

It is known that this research aims to highlight awareness of children's rights in reality and what is hoped for, enhance public awareness of the importance of protecting them, encourage public dialogue on this subject, ensure the existence of a media environment that relies on accurate and reliable information about children's rights, and evaluate and evaluate national mechanisms for protecting children's rights. Showing the role of the media in protecting the rights of children, in addition to the role of national non-governmental organizations in protecting the rights of children, and explaining Palestine's accession to the Convention on the Rights of the Child, the necessity of implementing the provisions of the Convention on the Rights of the Child, and establishing national mechanisms to protect the rights of children. The research concluded after clarifying this with the most important points. Its results. Namely, it is the responsibility of States parties to the Convention on the Rights of the Child to implement the Convention, as they are obligated to fulfill the obligations arising from the Convention, and that the responsibility of States does not stop at implementing their obligations only, but extends beyond establishing national mechanisms to protect children's rights. In order to ensure the success of these mechanisms in achieving the purpose for which they were established, they must be preceded by the provision of legal and political guarantees for this. The research suggests enhancing and strengthening the role of civil society and social welfare institutions in educating and raising awareness of children about their rights, and assisting and rehabilitating juvenile delinquents in integrating with society. Imposing mechanisms to monitor the provision and protection of children's rights, including the relevant institutions, ministries and bodies. The research suggests that this can be achieved through multimedia information campaigns targeting parents, teachers, and society in general. Social media platforms and media campaigns can be used to spread success stories and educate people about the harms of violence against children and the need to educate them about protection. Public dialogue on children's rights and the challenges they face must be encouraged. The media must adopt strict standards for

accuracy and reliability in providing information about children's rights. Media competitions or workshops can be organized to encourage creators to produce media content that reflects children's rights and contributes to their promotion.

Keywords : strategy; media; protection; rights; children..

1. تمهيد:

الحمد لله الذي بنعمته وإحسانه رزقنا الأطفال أمانة على عواتقنا، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان وإيمان إلى يوم الدين أما بعد..

فمن المعلوم أنّ الدول الملتزمة باتفاقية حقوق الأطفال، يجب عليها القيام بمسؤولياتها القانونية والوفاء بالالتزامات الناشئة عن تصديق الاتفاقية، ولا تقف حدود مسؤوليتها عند تنفيذ الاتفاقية عبر سلطاتها الثلاث، بل يتوجب عليها إيجاد آليات وطنية لحماية حقوق الأطفال الواردة في الاتفاقية عبر أجهزة ومؤسسات الدولة الرسمية والمدنية، وإشراك المجتمع المدني ومؤسساتها، والقطاع العام والخاص.

مشكلة البحث:

قد يظن الناس بمشاهدتهم للواقع الحالي في العالم الإسلامي لاسيما في غزة وسورية وبورما أنه لا توجد هناك آليات وضمانات صارمة لحماية حقوق الأطفال دوليا وإقليميا ومحليا. وبالنظر لهذا يأتي هذا البحث ليكشف الغموض حول حقوق الأطفال، ويبرز سبل إنقاذ فلذات أكبادنا (الأطفال)من الظلم والاستبداد ورعاية حقوقهم.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الآتي:

- تحديد الاحتياجات والتحديات التي تواجه حقوق الأطفال وتحديد الأولويات في العمل الإعلامي.
- تحديد أفضل الطرق والرسائل الإعلامية لنقل المعلومات والتوعية بحقوق الأطفال بشكل فعال ومؤثر.
- تصميم الإستراتيجية الإعلامية الفعّالة في زيادة الوعي بحقوق الأطفال وتشجيع التحولات الاجتماعية المؤثرة على المجتمع.

أهمية البحث:

تحظى الإستراتيجية الإعلامية لحماية حقوق الأطفال بأهمية عظمى؛ وتكمن أهمية هذا البحث في كونه يساعد في تحديد الأساليب والرسائل الأكثر فعالية لنقل المعلومات والوعي بحقوق الأطفال، مما يساهم في تحقيق أقصى قدر من النتائج الإيجابية. ومن خلال البحث، يمكن تحديد الأولويات في حماية حقوق الأطفال والتحديات التي تواجهها، مما يسهل عملية التخطيط والتنفيذ للجهود الإعلامية. ويساعد هذا البحث أيضا في زيادة الوعي بحقوق الأطفال لدى الجمهور، مما يسهم في تشجيع التحولات الاجتماعية والثقافية التي تدعم حقوقهم. وتساهم الإستراتيجية الإعلامية الفعّالة في تحقيق التغييرات الاجتماعية المؤثرة في تحسين ظروف وحقوق الأطفال. علما بأنّ دراسة الإستراتيجية الإعلامية لحماية حقوق الأطفال تمثّل الخطوة الأولى والأساسية نحو تحقيق التغييرات الإيجابية وتعزيز حياة صحية وآمنة للأطفال في المجتمع.

منهج البحث:

سلك الباحث في إنجاز هذا البحث المنهج الوصفي الاستقرائي، والتاريخي؛ حيث اعتمد المنهج الوصفي من خلال تقديم صورة دقيقة وموضوعية للواقع الحالي لحقوق الأطفال في الإعلام. وذلك بالنظر إلى كيفية تصوير قضايا الأطفال في وسائل الإعلام ومظاهر الانتهاكات أو الحماية.

واستند على المنهج الاستقرائي الذي يقوم على استنباط الأفكار العامة والمبادئ من خلال جمع وتحليل بيانات جزئية، بهدف الوصول إلى استنتاجات تساعد في تصميم إستراتيجية إعلامية فعّالة. وقام الباحث باستخدام أمثلة محددة من برامج أو حملات إعلامية سابقة، وعمل على تحليل تأثيرها بهدف تطوير توجهات أو سياسات إعلامية تعزز حقوق الأطفال وتدعم حمايتهم.

واستخدم المنهج التاريخي في دراسة تطور تناول الإعلام لقضايا حقوق الأطفال عبر الزمن، وكيف تطورت التشريعات والسياسات الإعلامية المتعلقة بالأطفال. ووفر هذا المنهج فهماً عميقاً للتحديات التاريخية والتغيرات التي مرت بها حقوق الأطفال في الإعلام، مما يسهم في وضع استراتيجيات حديثة مستندة إلى نجاحات أو إخفاقات الماضي. ويمكن دمج هذه المناهج في إستراتيجية إعلامية فعّالة تهدف إلى حماية حقوق الأطفال، حيث يمكن للمنهج

الوصفي تقديم صورة دقيقة للواقع، والاستقرائي لبناء رؤى استشرافية من الأمثلة، والتاريخي للاستفادة من التجارب السابقة.

2. مفهوم الإستراتيجية:

الاستراتيجية لفظ مُشتق من الكلمة اليونانية (Stratçgos) وهي كلمة مكونة من مقطعين؛ المقطع الأول منها هو (stratus) ويعني الجيش، والمقطع الثاني هو (ago) ويعني القيادة أو الحركة، كما تُعتبر الإستراتيجية خارطة طريق للمؤسسات؛ تُحدد رؤيتها، ومهمتها، وأهدافها، وعليه فإنّها تهدف إلى زيادة ودعم نقاط قوة المؤسسة وإضعاف نقاط قوة المنافسين.[1] ولا يخفى أنّ الإستراتيجية تُعرف على أنّها خطة طويلة الأمد للوصول إلى هدف ما، وتُعدّ مهارةً لازمةً لتحقيق النجاح في الحرب، أو السياسة، أو الأعمال، أو الصناعة، أو الرياضة، وغيرها، وتُعرف أيضاً على أنّها الاستخدام الذكي للموارد عن طريق نظام مُعيّن للأعمال في سبيل تحقيق الهدف.[2] [3]

والجدير بالذكر أن دولة فلسطين انضمت بشكل رسمي عبر إيداع صك التصديق إلى الأمين العام للأمم المتحدة تاريخ2014/4/1م، وبذلك يبدأ نفاذ الاتفاقية في فلسطين بتاريخ2014/4/30م، وتكون بذلك كافة المبادئ والحقوق الواردة في الاتفاقية واجبة التطبيق، وملزمة لفلسطين بصفتها دولة طرفا في الاتفاقية. واتفاقية حقوق الأطفال ليست إلا معاهدة دولية تنشئ علاقات قانونية بين الدول الأطراف فيها فقط، ولكن الغرض الذي تهدف إليه الاتفاقية هو في المكان الأول إحداث آثار في القانون الداخلي ولذلك تكون لهذه الاتفاقية فاعليتها الكاملة إذا كانت لنصوصها قوة ملزمة في القوانين الداخلية للدول الأطراف فيه...[4]

إن استقراء جميع نصوص الاتفاقية يفيد بأنها تلقي - بصورة مباشرة أو غير مباشرة- على عاتق الدولة التي تصبح طرفاً فيها التزاما باتخاذ إجراءات محددة لحماية الأطفال وضمان رعايتهم كما يرى الدقاق،[5] ومن ثم فإن تقصير الدولة وامتناعها عن اتخاذ مثل هذه الإجراءات والتدابير يسبب نوعا من الإضرار المنظم بالأطفال. ويعدّ كل انتهاك لأحكام حماية الأطفال الواردة في الاتفاقية، سواء تم في صورة فعل إيجابي أم امتناع سلبي تعسفاً يهدر القدر الواجب توفره من الحماية والرعاية للأطفال. فبالإضافة إلى الجهود المبذولة على الصعيد الدولي من اتفاقيات ومعاهدات دولية تتعلق بحماية حقوق الإنسان يُلحظ[6] أيضاً وجود آليات فاعلة على الصعيد الوطني تسهر على ضمان لحماية حقوق الإنسان التي تُعرف بالآليات الوطنية لحماية حقوق الإنسان سواء كانت رسمية أو غير رسمية، ونقصد بالرسمية حكومية أو قضائية، وبغير الرسمية المؤسسات الوطنية والمنظمات غير الحكومية والمجتمع المدني والإعلام، فكل دولة لا تخلو من الهياكل الحكومية المعنية بحقوق الإنسان وإن تباينت طبيعتها وأدوارها تباينا كبيراً، أما الآليات غير

الرسمية فإننا نجد نوعاً من التفاوت في الأشكال، فبعض البلدان لا تتوافر على مؤسسات وطنية أو دواوين مظالم أو لجان برلمانية متخصصة، أو حتى منظمات غير حكومية تعمل في مجال حقوق الإنسان وتدور مهام هذه الآليات الوطنية حول ثلاثة وظائف رئيسية هي: الإنصاف القضائي، وإشاعة مبادئ وقيم حقوق الإنسان في المجتمع، وحماية حقوق الأفراد والجماعات من الانتهاك.

وتتعدد الآليات الوطنية لحماية حقوق الإنسان، وتدور إجمالاً حول سبعة أشكال وهي:[7] القضاء، والهياكل الحكومية والمؤسسات الوطنية واللجان القومية، ودواوين المظالم واللجان البرلمانية والمنظمات غير الحكومية والإعلام، وتدور مهام هذه الآليات الوطنية حول ثلاث وظائف رئيسة هي: الإنصاف القضائي، وإشاعة مبادئ وقيم حقوق الإنسان في المجتمع، وحماية حقوق الأفراد والجماعات من انتهاك حقوقهم القانونية النظامية. ويجيب عبد العاطي[8] بأن هناك مجموعة آليات على الصعيد الوطني يمكن من خلالها تعزيز الحماية للطفل الفلسطيني، ويمكن القول بإن أهم تلك الآليات: تبني إستراتيجية وطنية هدفها إشراك الأطفال في الحياة العامة. وتعزيز دور الرقابة على المؤسسات الأهلية والخاصة العاملة في مجال الطفولة. وتنمية وتطوير قدرات العاملين في مجال حقوق الأطفال وتحديداً في المؤسسات الرسمية، من خلال رفدها بكوادر قادرة على النهوض بواقع الأطفال، وتأسيس جسم متكامل هدفه حماية الأطفال. وتشكل الآليات المحلية والإقليمية والدولية لحماية حقوق الإنسان شبكة متكاملة من أجل عالم أفضل لصون حقوق الأفراد والجماعات والشعوب والدول، بحيث تكمل الآليات في كل مستوى جهود الآليات في المستويات الأخرى، بحكم قصور الآليات الدولية لوحدها أو المحلية بمعزل عن الآليات الإقليمية والدولية، فهذه الآليات وغير المستويات الثلاثة يمكن القول بأنها مترابطة وظيفياً، يعزز بعضها البعض عالم حقوق الإنسان، وفي هذا الإطار، تعتبر دولة القانون أهم ضمانات حقوق الإنسان في الدولة، من خلال خضوعها للقانون والتزامها بقواعد الشرعية في كل مظاهر نشاطها التنفيذي والتشريعي والقضائي.[9]

وترى الباحثة خلفة[10] أنه يجب على الدولة توفير مجموعة من الضمانات القانونية والسياسية قبل الشروع في تحديد آليات حماية حقوق الإنسان عموماً، والأطفال خصوصاً وتتمثل الضمانات القانونية في الفصل بين السلطات، الرقابة القضائية على دستورية القوانين، واستقلال القضاء والحماية القضائية، ومبدأ أولوية القانون وحق التقاضي، ومبدأ الشرعية والمشروعية، أما الضمانات السياسية تتمثل في الرأي العام، الأحزاب السياسية، التقدم الاجتماعي الاقتصادي والثقافي، العدالة الاجتماعية ودولة القانون، سيادة الديمقراطية في الممارسة السياسية، مبدأ المساواة، رقابة الرأي العام على أعمال الحكومة. إلا أن هذا البحث يتفق من حيث المضمون فيما

ذهبت إليه الباحثة خلفة[11] من أهمية توفير ضمانات قانونية وسياسية قبل تشريع الآليات الوطنية لحماية حقوق الأطفال واستحالة تطبيق هذه الآليات في ظل دولة بوليسية أو مستبدة، ويتفق الباحث مع ما ذهب إليه الكاتب معروف[12] من تعدد أشكال الآليات الوطنية لحماية حقوق الأطفال، إلا أنه يرى عدم صحة حصر الآليات الوطنية لحماية حقوق الأطفال في عددٍ أو نوعٍ معين من الآليات؛ لأن الدولة هي الشارعة للآليات الوطنية، ويترتب على ذلك تنوع وتطور.وتحدد الآليات الوطنية عند مرور الزمن، وعليه فإن إنشاء الدولة لجهاز تنفيذي أو هيئة مختصة بحماية حقوق الأطفال، واتخاذ أي إجراء بهدف تنفيذ الاتفاقيات لحقوق الأطفال يُعَدُّ من الآليات الوطنية لحماية حقوق الأطفال.

وحماية حقوق الأطفال في نظر الليثي[13] مسألة تقع مسؤوليتها على عاتق الدولة بمقتضى نظام القانون الداخلي، وهذه الحقيقة لم تتجاهلها اتفاقية حقوق الأطفال، فهذه الاتفاقية أناطت بالدول الأطراف اتخاذ الإجراءات التشريعية وغيرها من الإجراءات الأخرى اللازمة لتنفيذ هذه الحقوق ووضعها موضع التنفيذ، وهو ما تلاحظه من المادة (٢/٢)، حيث نصت " **تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة لتكفل بالطفل وحماية من جميع أشكال التميز أو العقاب القائمة على أساس مركز والدي الأطفال أو الأوصياء القانونيين عليه أو أعضاء الأسرة، أو أنشطتهم أو آرائهم المعبر عنها أو معتقداهم** ". وهو ما يتضح من نص المادة (٤) حيث نصت " **تتخذ الدول الأطراف كل التدابير التشريعية والإدارية وغيرها من التدابير الملائمة لإعمال الحقوق المعترف بها في هذه الاتفاقية**".وأكدت اللجنة الدولية لحقوق الأطفال في ملاحظاتها على تقارير الدول الأعضاء بالاتفاقية على أهمية ضمان مطابقة التشريع لنصوص ومبادئ الاتفاقية مما يوجب عليها فحصاً كاملاً لتشريعاتها، كما أنها عبرت في حالات عديدة عن قلقها من عدم كفاية الإجراءات المتحدة في إطار التشريع لضمان مطابقة التشريع الساري المفعول مع الاتفاقية.[14]

وبذلك تعتبر الدولة محور القانون الدولي، والوسيلة أساس في تحقيق الغاية منه، وهي صاحبة الاختصاص الأصيل في حماية حقوق الأطفال، والآليات التي تصدر عنها في هذا الإطار هي الترجمة الحقيقية للقواعد القانونية المنصوص عليها في الاتفاقيات الدولية والإقليمية. وتبعاً لما سبق، تسلط الدراسة الضوء على أهم هذه الآليات الوطنية وهي الإعلام، ومنظمات المجتمع المدني.

3. دور الإعلام في حماية حقوق الأطفال:

الجدير بالذكر أن الإعلام يُعتبر ضرورة مهمة في أي مجتمع حديث، فكلما زاد المجتمع تعقيداً بفضل التقدّم التكنولوجي أصبح الإعلام أشد أهمية وأكثر ضرورة، فلا يوجد للمجتمع

نفسه أي نصيب من الخير ما لم تتوافق عناصره وتتكيف جماهيره مع منظماته الأهلية والحكومية، والإعلام ليس إلا إحدى هذه الوسائل المهمة التي يتم بها هذا التفاهم والانسجام عن طريق المشاركة في الخبرة والاتجاه والعاطفة،[15] فوسائل الإعلام هي في حقيقتها وسائل وعي ونشر مهما تعددت أشكالها وظروفها، فهي تدخل في إطار واحد يمكن أن تطلق عليها الوسيلة الإعلامية الثقافية للأفكار والتجارب، وهذه الوسيلة سواء كانت بدائية أو متحضرة فهي صاحبة الفضل الأول في النشر والذيوع والإشاعة وبدونها تغلق المجتمعات أبواها، لتعيش كل مجموعة في عزلة عن الأخرى، كما أنها تلعب دوراً أساسياً في تكوين المجتمعات ونشر وتطور نتاج هذه المجتمعات ونقل العلم والمعرفة للغير.

وعلما بأن هذه الدراسة تسلط الضوء على دور الإعلام بوسائله المختلفة، المقروءة والمسموعة والمرئية، في حماية حقوق الأطفال، باعتبارها أحد الآليات الوطنية المتبعة، في تنفيذ اتفاقية حقوق الأطفال، وقد اعترفت الاتفاقية بالوظيفة التي تؤديها وسائل الإعلام، فقد نصت المادة (١٧) " تعترف الدول الأطراف بالوظيفة الهامة التي تؤديها وسائط الإعلام وتضمن إمكانية حصول الأطفال على المعلومات والمواد من شتى المصادر الوطنية والدولية، وخاصة تلك التي تستهدف تعزيز رفاهيتهم الاجتماعية والروحية والمعنوية وصحتهم الجسدية والعقلية، وتحقيقا لهذه الغاية، تقوم الدول الأطراف بما يلي:

أ- تشجيع وسائط الإعلام على نشر المعلومات والمواد ذات المنفعة الاجتماعية والثقافية للطفل.

ب- تشجيع التعاون الدولي في إنتاج وتبادل ونشر هذه المعلومات والمواد من شتى المصادر الثقافية والوطنية والدولية.

ج- تشجيع إنتاج كتب الأطفال ونشرها.

د- تشجيع وسائط الإعلام على إيلاء عناية خاصة للاحتياجات اللغوية للطفل الذي ينتمي إلى مجموعة من مجموعات الأقليات أو إلى السكان الأصليين.

هـ- تشجيع وضع مبادئ توجيهية ملائمة لوقاية الأطفال من المعلومات والمواد التي تضر بصالحه".

كما نصت المادة (٢٣/٤) بشأن التزامات الدول الأطراف تجاه الأطفال المعاقين، إذ على الدول الأطراف أن تشجع بروح التعاون الدولي، تبادل المعلومات المناسبة في ميدان الرعاية الصحية الوقائية والعلاج الطبي والنفسي والوظيفي للأطفال المعوقين، بما في ذلك نشر المعلومات المتعلقة بمناهج إعادة التأهيل والخدمات المهنية وإمكانية الوصول إليها، وذلك بغية تمكين الدول

الأطراف من تحسين قدراتها ومهارتها وتوسيع خبرتها في هذه المجالات وتراعي بصفة خاصة في هذا الصدد، احتياجات البلدان النامية".

ويعتبر الإعلام من أهم المحاور الأساسية التي تهم الدول والحكومات في الوقت الراهن كما له وزن وأهمية في التأثير على المستوى الداخلي للدول أو في العلاقات الدولية ولهذا أضحى من أولويات الدول واهتماماتها، فالإعلام ليس مجرد وسيلة تمر عبرها الأخبار وتنقل من خلالها مجريات الأمور وتعبئة الرأي العام المحلي والعالمي، بل هو أكبر من هذا، لأن أبعاده أصبحت تمتد في جميع جوانب الحياة، وكذا كل المتغيرات، سواء كانت سياسية أو اقتصادية، أو اجتماعية أو ثقافية أو أمنية. فالإعلام يلعب دوراً مهماً في تعزيز حقوق الأطفال، وتحقيق ثقافة لدى المجتمع من خلال نقل صور المعاناة والصور السلبية للمجتمع الذي يمارس عملية عكسية على تعزيز قيم المواطنة واحترام حقوق الأطفال، [16] وللرأي العام دور لا يستهان به في الدول الديمقراطية، [17] بل من خلال ما يمارسه من ضغط على السلطة التشريعية عند قيامها بسن قوانين تمسّ الحقوق والحريات العامة، إذ يمكن للرأي العام أن يؤدي دوره من خلال التأثير على البرلمان بسن قوانين تحمي حقوق الإنسان، ويمكن للأفراد معرفة أسلوب مناقشة حقوقهم عن طريق الإذاعة والتلفزيون، أو عن طريق المقالات المنشورة في الصحف أو على شبكات التواصل الاجتماعي، وهكذا يستطيع الرأي العام أن يطلع على هذه الأعمال، وبالتالي النهوض ضد السلطة التشريعية وإخبارها على إلغاء النصوص المخالفة للحقوق والحريات وكذلك الأمر بالنسبة للسلطة التنفيذية فكل تصرف منها بمس الحقوق والحريات، من شأنه أن يثير الشعب ضدها ويرسخ الاعتقاد بفسادها، وهو ما تحرص السلطة التنفيذية على تفاديه. ويلعب الإعلام دوراً مهماً في تعزيز قيم المواطنة وحقوق الإنسان، خاصة لحماية حقوق الأطفال كما يراه فؤاد، [18] واتجهت الجهود الرسمية لتعزيز هذه القيم التي جاءت في إطار مشروع الميثاق العربي للإعلام وحقوق الأطفال الذي انعقد في ٦ ديسمبر ٢٠٠٤م، حيث جاء كإطار لتعزيز المبادرات الرامية لتعزيز حقوق الأطفال، ومن ثم نجد أن هناك أهمية كبيرة في تعزيز حقوق الأطفال في الوطن العربي، خاصة وأن الدول العربية وصلت إلى مستويات عالية من الرعاية الخاصة بحقوق الأطفال، وتجد أن جل الدول العربية تخصص جزءاً من برامجها التلفزيونية للأطفال، بل إن هناك قنوات مخصصة حالياً للأطفال، كما تظهر أهمية الإعلام المكتوب والمرئي في الكشف عن انتهاكات حقوق الأطفال. وقد وصلت الدراسة [19] إلى أنّ الرأي العام لا يتكون إلا إذا توافرت للأفراد حريات أخرى، كحرية الرأي والاجتماع وتكوين الجمعيات، بالإضافة إلى وصول الشعب إلى درجة عليا من التقدم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي فيصل بذلك إلى درجة من النصح، وبالتالي يمكن له إعطاء رأيه بكل ثقة، وبشكل حضاري منظم يظهر

مستوى الوعي لديه. وبذلك يكون للرأي العام دور في حماية الحقوق والحريات بتصديه لكل الجوانب السلبية، والممارسات الخاطئة سواء كانت صادرة من سلطات الدولة أو من الأفراد أنفسهم.

ويتمتع الإعلام بتأثير كبير على طريقة نظرتنا إلى العالم، مما يجعل له دورا حيويا للإسهام في تشكيل الصورة الذهنية نحو حقوق الأطفال، وفي العمل على تشجيع الحكومات والشعوب والمجتمع المدني على إجراء التغييرات الفعالة، وتكمن أهمية موقف وسائط الأعلام في قدرتها على فتح باب النقاش من ناحية، وعلى توفير منبر للأطفال يمكنهم من خلاله التعبير عن آرائهم من الناحية الأخرى. وتشير الاتفاقية بصفة مباشرة إلى وسائل الإعلام بدعوة الحكومات إلى تشجيع وسائل الإعلام على نشر المواد والمعلومات الثقافية والاجتماعية التي تفيد الأطفال،[20] وفي ظل الأدوار الرئيسة التي يمكن أن تؤديها وسائل الإعلام في مجال دعم حقوق الأطفال، حظيت علاقة وسائل الإعلام بحقوق الأطفال باهتمام واسع النطاق خلال السنوات الأخيرة من القرن العشرين، حيث عقدت العديد من المؤتمرات والمنتديات الدولية والإقليمية والوطنية المعنية بدور وسائل الإعلام في الترويج لثقافة حقوق الأطفال ودعمها، كما تم صياغة عدد من مواثيق الشرف التي تتناول أخلاقيات العمل الإعلامي في مجال حقوق الأطفال على المستويات الدولية والإقليمية والوطنية، وقد قامت اليونيسيف(UNICEF) بتطوير مجموعة من المبادئ المساعدة للإعلاميين أثناء إعداد تقاريرهم حول القضايا التي تمس الأطفال وحقوقهم، وتعرض اليونيسيف(UNICEF) هذه المبادئ لتعزز دور وسائل الإعلام في تغطية شئون الأطفال بطريقة تناسب أعمارهم وتراعي حساسية قضاياهم، وتهدف هذه القواعد إلى دعم النوايا الفضلى لدى الإعلاميين الذين يراعون خدمة المصلحة العامة دون التفريط والتساهل بحقوق الأطفال، وفي إطار تعزيز الدور الاجتماعي والتنموي لوسائل الإعلام عقد المنتدى العربي الأول للإعلام العربي وحقوق الأطفال بمدينة دبي في ديسمبر عام ٢٠٠٤م، وتمخض عن المنتدى الميثاق العربي للإعلام وحقوق الأطفال ليكون بمثابة دليل تسترشد به وسائل الإعلام العربية خلال وضع برامجها الموجهة للأطفال، بما يكفل الترويج لمفهوم حقوق الأطفال بين الأطفال والكبار.[21]

ويتطلب نجاح الإعلام في نشر ثقافة حقوق الإنسان من وجهة نظر حسونة[22] استنهاض منظمات المجتمع المدني للمشاركة الفاعلة في التنمية الحقوقية، وتزويد الإعلام بالمعلومات وتصحيح المعلومات حول القضايا المثارة، وكذلك إعداد البرامج النوعية والمتخصصة عن حقوق الأطفال والمرأة، وذوي الاحتياجات الخاصة، والتوسع في تخصيص صفحات حقوقية في الصحافة المحلية، وإقامة ورش عمل حقوقية دورية. وعلى الرغم من أهمية مشاركة وجهود كافة الهيئات

والمؤسسات المختصة والمتخصصة في نشر ثقافة حقوق الأطفال إلا أن العبء الأكبر يقع على الرعاية الرسمية التي توليها الدولة لهذا الموضوع، بما يشمل تخصيص الموازنات الكافية، وتدريب الكوادر وتوفير الإمكانيات. ومن المهم أن نفرق بين شقين، أولهما: نشر اتفاقية حقوق الأطفال ذاتها، وهذا يُعدُّ التزاما قانونيا يقع على عاتق الدولة العضو في الاتفاقية، حيث نصت الاتفاقية في المادة (٤٢) "تتعهد الدول الأطراف بأن تنشر مبادئ الاتفاقية وأحكامها على نطاق واسع بالوسائل الملائمة والفعّالة، بين الكبار والأطفال على السواء. والملاحظ على نص الاتفاقية أنها أتاحت للدولة اختيار وسائل الإعلام المناسبة لغرض نشر الاتفاقية، وفقاً للنظام الداخلي في الدولة وغالباً ما تنصّ الدول في دساتيرها وقوانينها الداخلية على أحكام نشر الاتفاقيات الدولية بالإضافة لاعتبار سن الطفولة وما يتطلب من اختيار وسائل تتلاءم مع هذه المرحلة العمرية، ولم تقتصر الاتفاقية على الأطفال فحسب، بل شملت الكبار، إذ تشمل الاتفاقية كثيراً من الأحكام والمواد القانونية التي تخاطب فيها الوالدين، والأوصياء وغيرهم. أما الشق الثاني فهو اتخاذ وسائل الإعلام كآلية وطنية ومحلية لنشر وتعزيز ثقافة حقوق الأطفال في المجتمع، وذلك لا يكون حكراً على الدولة فحسب، بل تشارك فيه كافة السلطات والهيئات والمؤسسات المعنية بالطفولة، ولا تقتصر المادة الإعلامية على اتفاقية حقوق الأطفال، بل تهدف بشكل عام لإثراء وتعزيز ثقافة الأطفال لحقوقهم، وسبل الوصول إليها. ويتسم الإعلام في هذه الحالة بالتأثير المتبادل ما بين الرأي العام وسلطات الدولة. بحيث لا تقتصر وظيفة الأطفال أو والديهم في تلقي المعلومات فقط، بل يتعدى ذلك إلى تبادل الآراء والتواصل والمشاركة في صناعة القرار، بحيث يساهم الإعلام في إظهار الخلل في منظومة حقوق الأطفال، والتحديات التي تواجهها، ومتطلبات إعمال هذه الحقوق والتأثير المتبادل لوسائل الإعلام، هو بالتأكيد نتيجة، بينما الهدف هو نشر ثقافة حقوق الأطفال، وهي عملية تراكمية وتكاملية، وبالرغم من الدور التي تقوم بها وسائل الإعلام في نشر ثقافة حقوق الأطفال، إلا أن المهمة الأساسية في ذلك تقع على حاضنة الأطفال بمختلف مراحلهم العمرية ممثلة بالأسرة والوالدين وغيرهم على الصعيد الفلسطيني، ويرى الديراوي[23] أن الإعلام المحلي لا يهتم بقضايا الطفولة في فلسطين إلا في أوقات محددة، وبشكل عاطفي في حين يذهب موسى[24] إلى أنّ مقارنة وضع الإعلام الفلسطيني وقضايا الطفولة بالإعلام العربي فوضعنا بخير، لكن الحقيقة أننا إذا ما نظرنا للعالم العربي، نعتقد أننا في غاية السوء، فإعلامنا يكاد لا يستعرض حالة الأطفال إلا عند وقوع حدث معين ويتفق مع هذا جراد فؤاد.[25]

4. دور المؤسسات الوطنية غير الحكومية في حماية حقوق الأطفال:

لا يخفى أنّ توفير بيئة واقية ومواتية يشكل للمجتمع المدني على صعيدي القانون والممارسة عاملاً مهماً آخر لمنع الانتهاكات كما نصت الأمم المتحدة،[26] ويشمل هذا وضع إطار قانوني ومؤسسي وإداري وكفالة إمكانية اللجوء إلى القضاء وإنهاء الإفلات من العقاب على الانتهاكات التي ترتكب في حق المدافعين وإنشاء مؤسسات وطنية قوية ومستقلة لحقوق الإنسان وإيلاء اهتمام خاص للنساء المدافعات وإشراك جهات فاعلة غير حكومية تحترم عمل المدافعين وتدعمه وإتاحة إمكانية الوصول الآمن والمفتوح إلى الهيئات الدولية لحقوق الإنسان.

ما زالت حقوق الإنسان تمثل شاغلاً أساسياً للأمم المتحدة منذ إنشائها، فمسؤولية احترام حقوق الإنسان وحمايتها وإعمال هذه الحقوق إنما تقع على عاتق الدول، فهي التي تصدق على الصكوك الدولية لحقوق الإنسان ويطلب منها إيجاد آليات لصون حقوق الإنسان، وتعتبر عملية حوكمة حقوق الإنسان عملية معقدة كما تجرم بذلك الأمم المتحدة،[27] فجميع جهات الحكومة تشارك في العملية، بالإضافة لأنواع أخرى من المؤسسات الوطنية والمجتمع المدني ضمن الجهات تشتغل المؤسسات الوطنية لحقوق الإنسان مثل سلطة قضائية مستقلة، وأجهزة إنفاذ للقوانين، وهيئات تشريعية فعالة، ونظم تعليمية ذات برامج لحقوق الإنسان على جميع المستويات. إلى جانب الآليات الرسمية هناك آليات غير رسمية أو كما تسمى بالمنظمات غير الحكومية التي تعمل في مجال حقوق الإنسان، والتي تأخذ شكل الجمعيات أو أشكالاً أخرى.[28] تشكل المنظمات غير الحكومية المحلية والدولية قوة رئيسية في حماية وتعزيز حقوق الأطفال. وقد تشمل مساهمتهم برامج لنشر التوعية ووظائف "الحراسة"، وإجراء الأبحاث والتوثيق وتمكين المجتمع، وتستطيع المنظمات التوعية بمبادئ اتفاقية حقوق الأطفال وبروتوكولاتها في المجتمع المحلي من خلال عقد الاجتماعات وتوزيع المعلومات وتنظيم الحملات للمناداة بالمصادقة على الاتفاقية وبروتوكولاتها الاختيارية، وبإمكانهم أيضاً مواجهة السياسيين لحثهم على إيلاء الأولوية لحقوق الأطفال وبإمكان المنظمات المساهمة في خلق عالم جدير بالأطفال عن طريق رصد إجراءات وبرامج الحكومة، وجمع البيانات عن مواطن النقص، وبدء حملات بشأن تغيير القوانين والبرامج السياسية،[29] في العديد من البلدان،[30] تم تشكيل ائتلافات وطنية لحقوق الأطفال العديد منها ناشط في متابعة تنفيذ اتفاقية حقوق الأطفال ومراقبتها على المستوى الدولي والوطني، وقد جمعت كماً جيداً من الخبرات حول كيفية العمل ضمن الائتلافات وحول الأنشطة التي يمكن تنفيذها، وقبل دخول الاتفاقية حيز التنفيذ، لعبت المنظمات غير الحكومية الدولية دوراً بنّاءً في عملية الصياغة، والبعض يعتبر بأن هذه المساهمة هي التي أدت إلى اعتراف الاتفاقية بالدور المهم الذي

تلعبه المنظمات غير الحكومية في مراقبة تنفيذها، وتمثل المادة (٤٥) من الاتفاقية معبراً هاماً للمنظمات غير الحكومية المعنية بحقوق الأطفال لتصبح مبادرة بتشجيع تطبيق وتنفيذ بنود الاتفاقية، وقد شكلت عملية رفع التقارير للجنة الأمم المتحدة حول حقوق الأطفال، وهي الهيئة المكلفة بمراقبة تطبيق الاتفاقية، حافزاً كبيراً للمنظمات غير الحكومية لتوحيد جهودها للمشاركة في عملية تقديم التقارير، وتعتبر الائتلافات الوطنية والمنظمات غير الحكومية آلية مراقبة أخرى مهمة. وهي تحشد حركة اجتماعية قوية حول الأطفال، وتعزز الدفاع وكسب التأييد لحقوقهم، وتشجع مشاركة الأطفال، وعلاوة على ذلك، يمكنها أن تؤثر بصورة حاسمة على إجراءات الحكومة، كمراقبين لأعمالهم وكشركاء في تحقيق حقوق الأطفال.

قد تقوم الدول بتقديم معلومات وإحصاءات غير دقيقة في التقارير المقدمة للجان التعاقدية المختصة، وذلك هدف إقناع اللجنة بأنها تتخذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ الاتفاقية والتقيد بأحكامها. وخلص الباحث نشوان[31] أن التقارير المقدمة من الدول الأطراف لا تعكس بدقة حالة حقوق الإنسان في البلد المعني، ولا تحدد المعيقات والعقبات التي تعترض تنفيذ الاتفاقية، أو الانتهاكات التي ارتكبت مخالفة لأحكامها. وعادة ما تحاول الدول إثبات أنها تنفذ الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان بحسن نية، حفاظاً على صورتها أمام الرأي العام وخشية توجيه ملاحظات لها من اللجنة. وهناك آليات أكثر فعالية لبعض اللجان التعاقدية، في مجال مشاركة المنظمات غير الحكومية في نقاش التقارير المقدمة من الدولة وإبداء الملاحظات عليها، حيث تسمح لجنة حقوق الأطفال للمنظمات غير الحكومية بالحديث أمام اللجنة في جلسات خاصة، وهذه الجلسات الخاصة، تفتح المجال لمنظمات المجتمع المدني بمناقشة الدولة بشكل مباشر، حول التقرير المقدم منها، وإبداء الملاحظات عليه، وفي فلسطين، أنشئت الهيئة المستقلة الحقوق الإنسان بقرار صادر عن الرئيس الراحل ياسر عرفات- رحمه الله -بتاريخ ١٩٩٣/٩/٣٠م، وقد نشر قرار الإنشاء لاحقاً في الوقائع الفلسطينية، وبموجب القرار تحددت مهام ومسؤوليات الهيئة على النحو التالي: "متابعة وضمان توافر متطلبات صيانة حقوق الإنسان في مختلف القوانين والتشريعات والأنظمة الفلسطينية، وفي عمل مختلف الدوائر والأجهزة والمؤسسات في دولة فلسطين، وتختص الهيئة بتلقي ومتابعة شكاوي المواطنين الفردية أو الجماعية المرتبطة بانتهاكات حقوق الإنسان أو الاعتداء على الحريات العامة التي تقع في مناطق السلطة الوطنية.

تقوم الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان بإصدار تقريرها السنوي لحالة حقوق الإنسان في فلسطين، ويتم تسليمه لرئاسة دولة فلسطين والمجلس التشريعي الفلسطيني، كما تصدر تقارير خاصة في القضايا الملحة التي تمس حقوق وحريات الإنسان الفلسطيني، كما تقوم الهيئة بدراسة

للقوانين الفلسطينية، ومشاريع القوانين وللاتفاقيات الدولية، وترفع النتائج والتوصيات لصناع القرار في فلسطين هدف اتخاذ القرار المناسب، كما يصدر عن الهيئة تقارير خاصة بشأن الانتهاكات الإسرائيلية وأثرها على أداء السلطة الوطنية الفلسطينية وحقوق المواطنين.

وفي التقرير الشهري لشهر نوفمبر ٢٠١5م الصادر عن الهيئة، أكدت أن سلطات الاحتلال انتهكت القانون الدولي الإنساني ومواثيق حقوق الإنسان واتفاقية حقوق الأطفال بشكل صارخ، وذلك من خلال نشر مسودة لقانون يهدف لفرض عقوبة السجن الفعلي على أطفال دون سن ١٤ عاماً، وبعد تعزيز ثقافة حقوق الإنسان في المجتمع الفلسطيني، وتعزيز الآليات الدولية للدفاع عن حقوق الإنسان، وتعزيز نظم العدالة بما ينسجم مع الاتفاقيات والمعايير الدولية لحقوق الإنسان من أهم الأهداف الإستراتيجية للهيئة المستقلة لحقوق الإنسان في فلسطين. وللمجتمع المدني دور خاص يؤديه في دعم ثقافة عالمية شاملة لحقوق الإنسان، وخصوصاً من خلال الأعمال التي تقوم بها المنظمات غير الحكومية، التي تكون في كثير من الأحيان قادرة بسبب استقلالها ومرونتها على الجهر بآرائها والتصرف بحرية أكثر من الحكومات أو المنظمات الحكومية الدولية، [32] ولا شك أن المنظمات الوطنية غير الحكومية في فلسطين تواجه تحديات كبيرة في العمل بشأن حماية حقوق الأطفال، خاصة في ظل الانتهاكات المستمرة للاحتلال الإسرائيلي لحقوق الأطفال، والوضع السياسي غير المستقر للأراضي الفلسطينية، وانعدام الفرص وقلة الإمكانيات والتمويل، وهو ما يدعو إلى ضرورة توفير الدعم والإمكانات اللازمة لهذه المنظمات لما تقوم به من جهد موازٍ للجهود الرسمية والحكومية في حماية حقوق الأطفال في فلسطين، بالإضافة لتعزيز الدور الوطني للمنظمات الحقوقية في فلسطين من خلال إشراكها في وضع الخطط الإستراتيجية والتنفيذية، والسياسات العامة الحقوق الأطفال.

وتسعى المنظمات الحقوقية إلى تحقيق أهدافها أيضا من خلال ارتباطها بعلاقات مع اتحادات وتحالفات دولية أخرى مثل الشبكة اليورو متوسطية ومنظمة العفو الدولية. كذلك لجنة الحقوقيين الدوليين. حيث تسهم المنظمات الدولية بدورها في زيادة كفاءة عمل المنظمات الحقوقية الفلسطينية، وفي خلق نوع من الحشد والمناصرة القضايا وحقوق الفلسطينيين على المستوى الدولي.

إن رفع كفاءة أداء بعض المنظمات الحقوقية يكون من خلال علاقاتها مع بعض الأجهزة أو اللجان أو الوكالات المتخصصة في الأمم المتحدة التي تقدم لها الدعم والمساندة في بعض برامجها كما هو الحال بالعلاقة التي تربط الحركة العالمية للدفاع عن الأطفال مع بعض وكالات الأمم المتحدة كاليونيسيف والعلاقة التي تربط مؤسسة الضمير ومركز المرأة للإرشاد القانوني بعلاقات

تعاون مع صندوق الأمم المتحدة للمرأة، كما يرتبط المركز الأخير والحركة العالمية بعلاقات تعاون مع لجنة القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة، ومع صندوق ولجنة مناهضة التعذيب، ومع صندوق الأمم المتحدة للسكان،[33] وبالمقابل تمارس بعض المنظمات الحقوقية الفلسطينية شكلاً آخر من التواصل مع بعض المقررين الخاصين يتمثل بإعداد التقارير حول انتهاكات معينة لحقوق الإنسان، وعرضها على هؤلاء المقررين أو من خلال الفرص بالالتقاء بالمقررين الخاصين، وإطلاعهم على وضع حقوق الإنسان في فلسطين.

ويتم مراقبة وتوثيق الانتهاكات لحقوق الأطفال في فلسطين التي يقدم عليها الاحتلال الإسرائيلي والمستوطنون من قبل منظمات المجتمع المدني المحلي من خلال التقارير البديلة وتقارير الظل والتقارير الدورية، ومن خلال نظام المراقبة الذي تتبعه العديد من المؤسسات الدولية مثل إنقاذ الأطفال يونيسيف مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية والجهاز[34] المركزي للإحصاء الفلسطيني، ٢٠١٣م، إلا أن المشكلة تكمن في عدم وجود التزام سياسي وموقف عملي لوقف ما يحدث من انتهاكات سواء على المستوى المحلي أو على مستوى المكاتب الرئيسة والأمم المتحدة، وبالتالي لا يتم محاسبة إسرائيل على تلك الانتهاكات كدولة محتلة، كما يتم في بعض الأحيان انتقاء عبارات وكلمات لطيفة لوصف ما يحدث. وتأكيداً على دور المنظمات الفلسطينية المعنية بحقوق الإنسان، فقد أطلقت وزارة الخارجية الفلسطينية بتاريخ ٢٠ أكتوبر ٢٠١٧م بالشراكة مع مكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة مشروعاً يهدف إلى تعزيز تمتع الفلسطينيين بكل الحقوق المنصوص عليها في اتفاقيات حقوق الإنسان التي انضمت إليها دولة فلسطين عام ٢٠١٤م، ومن ضمنها اتفاقية حقوق الأطفال، وينفذ المشروع بالتعاون مع الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان ومجموعة من مؤسسات المجتمع المدني المعنية بحقوق الإنسان، بهدف تعزيز قدرتها على تحقيق سيادة القانون والديمقراطية، من خلال الحوار البناء والتوعية، ورفع الوعي لدى أفراد الشعب الفلسطيني حول حقوقهم الأساسية وكيفية المطالبة بها.

ولا شك أن الاحتلال الإسرائيلي يُعدُّ المعوق الأكبر أمام التقدم في حماية حقوق الأطفال في فلسطين علاوة على أن الاحتلال الإسرائيلي يتحكم بكافة تفاصيل الحياة اليومية في الأراضي الفلسطينية برغم وجود السلطة الفلسطينية.[35]

5. خاتمة:

إن "الإستراتيجية الإعلاميّة لحماية حقوق الأطفال في الواقع والمأمول" تُعَدُّ أداة تنفيذية للاتفاقيات والمعاهدات الدولية التي تحكم العالم حالياً، بالإضافة للدساتير والتشريعات الوطنية التي تحكم الدول. وقد انتهت الدراسة إلى تقسيم آليات حماية حقوق الأطفال وفقاً لطبيعتها

القانونية إلى آليات دولية، وآليات إقليمية وآليات وطنية ويجمعها هدف واحد وهو حماية حقوق الأطفال بالوسائل الموضوعية والإجرائية المنصوص عليها قانوناً، وتربطها علاقة تكامل وتعاون فيما بينها. وانتهى البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات، وهي كالتالي:

- مسؤولية الدولة الطرف في الاتفاقية عن تنفيذ اتفاقية الأطفال، باعتبارها ملزمة بالوفاء بالالتزامات الناشئة عن الاتفاقية، وأن مسؤولية الدولة لا تتوقف عند تنفيذ التزاماتها فحسب بل تتعدى إلى إنشاء " الإستراتيجية الإعلاميّة لحماية حقوق الأطفال"، ولضمان نجاح هذه الإستراتيجية الإعلاميّة في الغاية التي شرعت من أجلها، فلابد أن يسبقها توفير الضمانات القانونية والسياسية لذلك.
- يعد الإعلام والمنظمات الوطنية غير الحكومية العاملة في مجال الطفولة من أهم الآليات الوطنية في حماية حقوق الأطفال، ويتمتع الإعلام بتأثير كبير في مسألة حماية حقوق الأطفال، مما يجعل له دورا حيويا للإسهام في تشكيل الصورة الذهنية نحو حقوق الأطفال، وفي العمل على تشجيع الحكومات والشعوب والمجتمع المدني على إجراء التغييرات الفعّالة.
- يتسم الإعلام بالتأثير المتبادل ما بين الرأي العام وسلطات الدولة فيما يتعلق لحماية حقوق الأطفال، بحيث لا تقتصر وظيفة الأطفال أو والديهم في تلقي المعلومات فقط، بل يتعدى ذلك إلى تبادل الآراء والتواصل والمشاركة في صناعة القرار، بحيث يساهم الإعلام في إظهار الخلل في منظومة حقوق الأطفال، والتحديات التي تواجهها، ومتطلبات إعمال هذه الحقوق.
- يقترح البحث بأهمية اتخاذ وسائل الإعلام كآلية وطنية ومحلية لنشر وتعزيز ثقافة حقوق الأطفال في المجتمع، وذلك لا يكون حكراً على الدولة فحسب، بل تشارك فيه كافة السلطات والهيئات والمؤسسات المعنية بالطفولة، ولا تقتصر المادة الإعلامية على اتفاقية حقوق الأطفال بل تجتهد بشكل عام في إثراء وتعزيز ثقافة الأطفال، وسبل الوصول إليها.
- يقترح البحث إقامة حملات إعلامية متعددة الوسائط تستهدف الأهل والمعلمين والمجتمع بشكل عام. ويمكن استخدام منصات التواصل الاجتماعي والحملات الإعلامية لنشر قصص نجاح وتوعية الناس بأضرار العنف ضد الأطفال. ويجب تشجيع الحوار العام حول حقوق الأطفال والتحديات التي تواجهها. ويجب على وسائل الإعلام تبني معايير صارمة للدقة والموثوقية في تقديم المعلومات حول حقوق الأطفال. ويمكن تنظيم مسابقات إعلامية أو ورش عمل لتشجيع المبدعين على إنتاج محتوى إعلامي يعكس حقوق الأطفال ويساهم في تعزيزها.

- يقترح البحث تفعيل دور الإعلام في نشر ثقافة حقوق الأطفال، ووجوب نشر اتفاقية حقوق الأطفال باعتبارها إجراء قانونياً، وإشراك منظمات المجتمع المدني في إعداد مشاريع القوانين الخاصة بحقوق الأطفال، وإعداد الاستراتيجيات والخطط الحكومية بشأن تعزيز حقوق الأطفال، وتفعيل دورها في رقابة وضع حقوق الأطفال في الأراضي الفلسطيني، وزيادة الدعم الحكومي لمؤسسات المجتمع المدني.
- ضرورة تعزيز دور مؤسسات المجتمع المدني والرعاية الاجتماعية في تثقيف وتوعية الأطفال بحقوقهم، ومساعدة وتأهيل الأحداث الجانحين في الاندماج مع المجتمع وفرض آليات للرقابة على توفير وحماية حقوق الأطفال بما يشمل المؤسسات والوزارات والهيئات المختصة وضرورة تخصيص موازنة خاصة للأطفال "الموازنة الصديقة للأطفال" في فلسطين ضمن الموازنة العامة للدولة، أسوة بالدول الأخرى.

6. الهوامش والإحالات:

1-براشي جونيجا، "الاستراتيجية- التعريف والميزات" تاريخ النشر: 20سبتمبر 2020م، www.managementstudyguide.com تاريخ الاطلاع، 25 يونيو 2024م.

2- " الإستراتيجية"، تاريخ النشر(23-9-2020)،dictionary.cambridge.org، تاريخ الزيارة في 25-6-2024م.

3- "ما هي الاستراتيجية؟" تاريخ النشر(23-9-2020)، www.strategyskills.com، تاريخ الزيارة:25 -6-2024م.

4- الفار، الدكتور عبد الواحد محمد،القانون العالمي العام، دار النهضة العربية،القاهرة، مصر،1994 م، ص328.

5- الدقاق، محمد سعيد، الحماية القانونية للأطفال في إطار اتفاقية الأمم المتحدة، بشأن حقوق الأطفال، الإسكندرية، مصر: 1988م، ص6.

6- جوغري، أميرة، الآليات الوطنية التنفيذية لحماية حقوق الإنسان، مجلة العلوم الإنسانية المجلد. 48، رقم 3، 2017م، ص 47-57.

7- معروف، مافي، الآليات الوطنية لحماية حقوق الإنسان.2011م، استردادها من http://wwwhumanhuman.blogspot.com/2011/04/blog-post_1634 ، تاريخ الزيارة: 25يوليو2024م.

8- عبد العاطي، صلاح، واقع الأطفال الفلسطيني في ظل اتفاقية حقوق الأطفال، الحوار المتمدن-العدد: 1199 – 2005م، استردادها من https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=37422، تاريخ الزيارة26يوليو2024م.

9- إبراهيم، قلواز. ضمانات وآليات حماية حقوق الإنسان2015م، استردادها من. http://www.ssrcaw.org/ar/show.art.asp?aid=482591، تاريخ الزيارة: 25يوليو2024م.

10- خلفة، نادية، حماية آليات حقوق الإنسان في النظام القانوني الجزائري (غير منشورة)، رسالة دكتوراه)، جامعة الحاج لخضر، الجزائر،2010م، ص201.

11- المصدر السابق نفسه.
12- معروف، مافي، الآليات الوطنية لحماية حقوق الإنسان.2011م، استردادها من http://wwwhumanhuman.blogspot.com/2011/04/blog-post_1634، تاريخ الزيارة: 18يوليو2024م.
13- الليثي، صبري سيد فاتن، الحماية الدولية لحقوق الأطفال (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الحاج لخضر، الجزائر،2008م، ص21.
14- فاروق، خليل، الأطفال العربي في ظل الاتفاقيات الدولية الخاصة بحقوق الأطفال،2007م، رسالة ماجستير غير منشورة (رسالة دكتوراه)، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، ص79.
15- شوشة، نادية محمد طاهر، تطبيع وسائل الإعلام لتسويق مدارس السباحة لذوى الاحتياجات الخاصة، مجلة الإبداع الرياضي. المجلد. 4، رقم 3، 2013م، ص 441-443.
16- فؤاد، جمال، دور الإعلام العربي في تعزيز حقوق الأطفال في ظل المتغيرات السياسية الراهنة،2013م، ص 635، استردادها من .https://repository.nauss.edu.sa/bitstream/handle/123456789/56636، تاريخ الزيارة:22 يوليو2024م.
17- سعاد، رابح بن طيفور نصر الدين، الجزائر والقانون الدولي لحقوق الإنسان (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة الجزائر تلمسان، الجزائر،2017م، ص188.
18- فؤاد، جمال، دور الإعلام العربي في تعزيز حقوق الأطفال في ظل المتغيرات السياسية الراهنة،2013م، ص 645، استردادها من https://repository.nauss.edu.sa/bitstream/handle/123456789/56636، تاريخ الزيارة: 23يوليو2024م.
19- سعاد، رابح بن طيفور نصر الدين. الجزائر والقانون الدولي لحقوق الإنسان (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة الجزائر ، تلمسان، الجزائر،2017م، ص189.
20- اليونيسف، نهج اليونيسف في حماية الأطفال، 2018م، استردادها من https://www.unicef.org/arabic/protection/24267_68568.html . تاريخ الزيارة24: يوليو2024م.
21- المجلس العربي للطفولة والتنمية، 2013م،ص98،استردادها من..https://www.arabccd.org/publications/ تاريخ الزيارة23يوليو2024م.
22- حسونة،نسرين، الإعلام وحقوق الإنسان،٢٠١٤م: استردادها من https://www.alaraby.co.uk/، تاريخ الزيارة: 20يوليو2024م.
23- الديراوي طارق محمد، احترام قواعد القانون الدولي الإنساني في الشريعة الإسلامية،2015م، ص20، استردادها من https://ddl.mbrf.ae/book/5339975، تاريخ الزيارة: 28يوليو2024م.
24- موسى،قروف،الحماية القانونية لحقوق الأطفال في العالم العربي نحو وضع تشريع نموذجي لحقوق الأطفال،مجلة الاجتهاد القضائي،المجلد:5، الرقم:7، ص: 149-153، 2010م.
25- جرادة، فؤاد،٢٠١٨ م، استردادها من https://web.facebook.com/PalestineTV/videos/%D8%BA%D8%B2%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AD%D8%AA%D9%84%D8%A7%D9%84-%D9%8A%D9%88%D8%A7%D8%B5%D9%84-%D8%AC%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%85%D9%87-%D8%A8%D8%AD%D9%82-

%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B7%D9%81%D8%A7%D9%84-
%D8%AA%D9%82%D8%B1%D9%8A%D8%B1-%D9%81%D8%A4%D8%A7%D8%AF-
%D8%AC%D8%B1%D8%A7%D8%AF%D8%A9/2000022830067701/?_rdc=1&_rdr، تاريخ الزيارة: 28يوليو2024م.

26- الأمم المتحدة، دور منع الانتهاكات في تعزيز وحماية حقوق الإنسان. الرابع والعشرون، جلسة مجلس حقوق الإنسان: التقارير،2013م، ص 10، استردادها من https://www.ohchr.org/EN/HRBodies/SP/Pages/AnnualreportsHRC.aspx ، تاريخ الزيارة: 22يوليو2024م.

27- الأمم المتحدة ، المصدر السابق، ص3.

28- سعاد، رابح بن طيفور نصر الدين. الجزائر والقانون الدولي لحقوق الإنسان (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة الجزائر تلمسان، الجزائر،2017م، ص178.

29- اليونيسف، نهج اليونيسف في حماية الأطفال،2018م، استردادها من https://www.unicef.org/arabic/protection/24267_68568.html. تاريخ الزيارة28: يوليو2024م.

30- لورا تايتاز، بريغمان، مجموعة المنظمات غير الحكومية الحقوق الأطفال، 2006م، استردادها من http://www.crin.org/NGOGroupforCRC، تاريخ الزيارة: 28يوليو2024م.

31- نشوان، كارم محمود حسين. آليات حماية حقوق الإنسان في القانون الدولي لحقوق الإنسان (غير منشورة)، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر في غزة، فلسطين،2011م، ص 119.

32- الأمم المتحدة، دور منع الانتهاكات في تعزيز وحماية حقوق الإنسان. الرابع والعشرون، جلسة مجلس حقوق الإنسان: التقارير،2010م، ص 6، استردادها من https://www.ohchr.org/EN/HRBodies/SP/Pages/AnnualreportsHRC.aspx، تاريخ الزيارة: 26 يوليو2024م.

33- كلثوم، عودة الله، آليات الأمم المتحدة للحماية: الإجراءات الخاصة، الأرض فلسطين المحتلة(رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة بيرزيت، فلسطين،2009 م، ص 970.

34- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، واقع حقوق الأطفال الفلسطيني، رام الله، فلسطين: 2010م - 2013م، ن. ب. ص20.

35- شهاب، أحمد، ومارني، نوز مالالي. المركز القانوني للأراضي الفلسطينية المحتلة، الإرشاد: مجلة الشريعة الإسلامية والقضايا المعاصرة، الإصدار: 3(1)، 2018م ص35-49، استردادها من http://alirsyad.kuis.edu.my/index.php/alirsyad/article/view/10، تاريخ الزيارة: 25يوليو2024م.

المجلد:2
العدد:1
الشهر والسنة: جمادى الآخرة 1447هـ/ ديسمبر2025م
ص ص: 59-77

البشرى
للبحوث والدراسات
مجلة علمية دولية سداسية محكّمة
El-Bushra for Research and Studies a half-yearly international peer-reviewed Scientific Journal
ISSN : 2992-1262

الأدب الجزائري الحديث بين النشأة والتطور

Modern Algerian literature between origin and development

لخضر دين [*] ، دكتور، جامعة بلحاج بوشعيب –عين تموشنت
dinelakhdar9@gmail.com

ملخص:

لئن كان الأدب الجزائري في العصر الحديث مصدر اهتمام لدى الكثير من الباحثين والدارسين داخل الجزائر وخارجه، حيث ألفت حوله عدد هائل من المؤلفات التي تدل على قيمته محليا وعربيا وقاريا وحتى عالميا، فقد سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن جانب من الجوانب المشرقة في الأدب الجزائري الحديث من خلال الكشف عن مفهومه ونشأته وأهم الأشياء من مؤثرات وتيارات وعوامل أسهمت في تشكله .

كلمات مفتاحية: الأدب؛ الأدب الجزائري؛ الحديث؛ الأدب الجزائري الحديث؛ نهضة ونشأة الأدب الجزائري الحديث.

Abstract:

While Algerian literature in the modern era is a source of interest for many researchers and scholars inside and outside Algeria, where a huge number of books have been written around it that indicate its value locally, Arably, continentally and even globally, this study has sought to reveal one of the bright aspects of modern Algerian literature by revealing its concept, its origin, and the most important things of influences, currents and factors that contributed to its formation.

Keywords: Literature; Algerian literature; modern; modern Algerian literature; renaissance and emergence of modern Algerian literature.

1. مقدمة:

نال الشعر الجزائري في العصر الحديث حظا وافرا من الدراسة والتحليل، فالمكتبة النقدية في هذا المجال ثرية بدراسات جادة؛ تتعلق بالأعلام والرؤى ومناهج الدراسة بالإضافة إلى التوثيق لفترة دقيقة من فترات تطور الأدب الجزائري الحديث؛ من خلال ما تقدم، سنتناول في هذا المقال نشأة الأدب الجزائري وما صاحبها من ظروف أثرت في طبيعة هذا الأدب بالإضافة إلى الكثير من النقاط المهمة التي لا تخرج عن السياق المعرفي لتاريخ هذا الفن وتياراته ومؤثراته وظروفه وأهم خصائصه.

فكيف نشأ الأدب الجزائري في العصر الحديث؟ وكيف تطور؟ وما هي أهم التيارات والمؤثرات والعوامل التي أسهمت في تشكله؟

2. الأدب الجزائري مفهوما ونشأة:

1.2. مفهوم الأدب الجزائري الحديث:

يعد الأدب الجزائري الحديث واحدا من بين أهم الآداب التي ظهرت بالقطر العربي، حيث ألح جمع من الدارسين أن يضعوا له تعريفا خاصا به حتى لا يختلط مع غيره من الآداب، وعنه قال **"محمد مهداوي"**: "الأدب الجزائري الحديث جزء من الأدب العربي الحديث، لأن هذا الأخير يتكون من مجموع آداب الأقطار العربية(...)كذلك الحال بالنسبة لأدبنا العربي يجمع أشتاتا متباينة في العادات والتقاليد والعمران، وهذا التباين بين أدب وآخر هو ما يسمى في مجال الأدب بالمحلية، وهذه المحلية هي التي جعلت الهم العربي في العصر الحديث بوجه خاص يختلف باختلاف ظروف البلد وقدراته(...)."[1]

ولأنه جزء من الأدب العربي فهو لم يختلف مع الآداب العربية الأخرى من الناحية الأسلوبية والتعبيرية والتصويرية، ولكنه اختلف عنها في نقل الموضوعات والقضايا التي طرحها، لأن هموم الأديب تختلف من أديب إلى آخر، وهذا ما جعل **"محمد مهداوي"** يحكم عليه قائلا: "الأدب العربي في الجزائر واحد من الروافد التي تصب في نهر آداب اللغة العربية، قد لا يختلف عن آداب الشعوب العربية الأخرى، من حيث الأسلوب والتعبير والتصوير،

ولكنه يختلف عنه في الموضوعات وذلك أمر طبيعي، لأن هموم الأديب الجزائري تختلف عن هموم الأدباء الآخرين في الأقطار العربية، ومن ثمة طبع الأدب الجزائري بطابع النضال، خاصة الأدب الذي نشأ أيام الاستعمار الفرنسي منذ بداية الاحتلال عام 1831م إلى نهاية الاحتلال عام 1962م."[2]

وإذا كان العنوان العريض –أي الأدب الجزائري الحديث- يحمل في ثناياه مصطلح الحديث الذي أصبح قضية تثار في الوسط البحثي والتي تناقش حولها عدد هائل من الباحثين حتى يصلوا إلى الفرق بينه وبين المعاصر محددين الإطار الزماني لكلا المصطلحين، فها هي **"كريمة محاوي"** تورد رأيين مختلفين عن الحديث والمعاصر في الأدب الجزائري في خضم حديثها عن مفهوم الأدب الجزائري الحديث قائلة: "هو الأدب الذي ينتمي إلى المرحلة الممتدة بين 1830 ونهايات القرن العشرين، ومن الدارسين من يجعله بين تاريخ احتلال الجزائر من طرف فرنسا إلى غاية الستينيات من القرن العشرين، ويعد ما بعد هذه المرحلة أدبا معاصرا، على اعتبار أن عددا من أدباء المرحلة الأخيرة ما زال معاصرا، لكن الأدب الجزائري الذي ينتمي إلى بدايات العصر الحديث قليل جدا بل نادر والسبب الأول هو الاستعمار الذي كان هدفه الأساسي محو الأمة الجزائرية من الوجود واستبدالها بأمة فرنسية على غرار ما فعلته كثير من الدول الاستعمارية آنذاك."[3]

2.2 نشأة الأدب الجزائري في العصر الحديث:

أكد كثير من الباحثين بأنه لا يمكن الحكم الجازم على نشأة فعلية لأي الأدب كان، لأن الآراء تتضارب والأفكار تختلف والمشارب تعدد، وهذا الرأي دأب عليه **"محمد مهداوي"** حين تحدث عن الآراء التي قيلت عن الأدب الجزائري الحديث قائلا: "إن عمر الأدب لا يقاس باليوم وبالشهر أو بالسنة، فلا نستطيع أن نحدد بدقة متناهية ميلاد أو نشأة الرومانسية في الأدب العربي، أو الشعر الحر أو القصة القصيرة أو المسرحية، كما نحدد عمر الإنسان، والسبب في ذلك أن الظاهرة الأدبية نتاج فكري اجتماعي معقد، تنشأ من خلال تفاعل

عوامل كثيرة داخل المجتمع الإنساني، لذلك من الطبيعي أن تتعدد الآراء حول بداية أو نشأة الأدب الحديث في الجزائر وفي غير الجزائر(...)."[4]

1.2.2 الأدب الجزائري قبل النهضة:

يجمع جل الباحثين بأن الأدب الجزائري بصفة عامة قد مر بنفس المراحل التي شهدتها مختلف الآداب العربية منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا، وفي هذا الصدد **يقول "أبو القاسم سعد الله"**: "والواقع أن الحديث عن الأدب الجزائري يشبه إلى حد كبير كل حديث عن الأدب العربي بصفة عامة في كل بيئة من بيئاته الوطنية، فقد عاش هذا الأدب نفس الظروف والمشكلات التاريخية والفكرية التي عاشها الأدب العربي، وكانت صلة الجزائر بأوروبا –بحكم موقعها وسياستها- من أسبق الصلات التي نشأت بعد ذلك في الشرق العربي، فاستفادت الصلة تجاريا وحربيا وإداريا، ولكنها فيما يبدو لم تفد شيئا من ذلك فيما يتعلق بفكرها وحضارتها وفنها وثقافتها، فبقي هذا الجانب محافظا راكدا قديما إلى أن جاء الاحتلال الذي لم يكن صدمة لجميع القيم السائدة في البلاد، بل كان بالإضافة إلى ذلك عامل تخريب وبعثرة لكل القيم الفكرية رغم جمودها وركودها وقدمها."[5]

1.1.2.2 مصطلح النهضة الأدبية في العصر الحديث:

لمصطلح النهضة أهمية كبيرة ودلالة معنوية في اللغة العربية، إذ فيه دعوة شديدة الإلحاح لنقل الفاعلية الفردية والمجتمعية معا، أو انتقالها من حال سابقة غير مناسبة للظروف إلى حال لاحقة ممكنة ومنسجمة مع الظرف، واستحضار للقدرة من أجل القيام بأعباء النهوض ومستلزماته، استجابة للعلاقة المفترضة أو المرغوب بها مستقبلا، ولذلك انحصرت معانيها اللغوية في القوة والحركة والارتفاع والتجدد، يقول صاحب معجم **"الرائد" "جبران مسعود"**: "نهض: الطاقة، القوة، الحركة، الارتفاع بعد الانحطاط، والانبعاث بعد تأخر وركود."[6]

وعلى هذا الأساس، فالنهضة الأدبية العربية في العصر الحديث لم تأت هكذا، ذلك لأن الأمة العربية والإسلامية مرت بفترة من الزمن شعر أهلها بالضعف والجمود والركود، حتى أن

كلمتها تشتت وأصبحت غير قادرة على مواصلة السير في الطريق الحضاري الذي رسمه الخلف في جميع المجالات؛ لذلك يمكن الحكم بأن "الأدب العربي -شعره ونثره- نهض في هذا العصر في موضوعاته وأفكاره وأساليبه ولغته، فصار أدبا قويا مزدهرا يختلف في شكله ومضمونه عن الأدب في العصر العثماني الضعيف المتهالك."[7]

وأما عن الحدود الزمنية للنهضة العربية الحديثة فقد اختلف الآراء بين من يرى أن قيامها بدأ مع الحملة النابولونية على مصر وما أحدثته من زلزلة في الجوانب الفكرية والثقافية والحضارية وغيرها في الوسط الاجتماعي وهذا الأرجح، وممن ساروا على ذلك **"أحمد حسن هيكل"** الذي قسم فترة النهضة إلى فترتين: "فترة اليقظة، وفترة الوعي".

- **"فترة اليقظة:** وكانت من بداية الحملة الفرنسية عام 1213هـ/1798م حتى سنة 1863م (...) ويمكن تقسيمها إلى:

أ/- الحملة الفرنسية: فقد جاءت الدولة برئيسها ومجلس الشعب والنواحي العلمية المتطورة فيها وصحافتها، فألقت بكاهلها وأثقالها على مصر، فرأى المصريون حكما جديدا ومجلسا للشعب، ورأوا الصحافة والعلم الحديث، فالحملة المصرية قامت على النواحي العلمية والمخترعات الحديثة(...)فكان هذا عاملا من عوامل اليقظة في مصر، حتى استولى محمد علي باشا على السلطة عام 1805م.

ب/- محمد علي باشا: وهو العصر الثاني لفترة اليقظة، حيث تطلع محمد إلى بناء دولة قوية وجيش صامد يقف في وجوه الأعداء(...)وقام بإنشاء المدارس العامة، واستقدم المدرسين من أوروبا ثم كون من المصريين الذين تعلموا التدريس والتكنولوجيا، وبالتالي استغنى عن المدرسين الأجانب، كما قام بإرسال البعثات إلى الخارج(...)وكان من أشهرهم رفاعة الطهطاوي الذي أرسل مع المبعوثين إماما لهم، فدفعته الرغبة في العلم إلى تحصيل ما حصله إخوانه وزاد عليهم(...)."[8]

- **"فترة الوعي:** من سنة 1863 حتى سنة 1882م عندما احتلت بريطانيا مصر(...) وكانت في عهد إسماعيل الخديوي الذي كان ممن بعثه محمد علي إلى فرنسا فأعجب بالغرب كثيرا، وأراد

أن يجعل مصر مثل أوروبا، فأعاد فتح المدارس، وقام بإرسال البعثات العلمية حتى بلغت أكثر من 172 بعثة، وأنشأ كلية الحقوق وجعلها باللغة العربية، وأنشأ دار العلوم عام 1871م برئاسة علي مبارك(...) كما أنشأ أول مدرسة للبنات عام 1873م(...)كما قام بافتتاح مكتبة دار الكتب(...)فكانت مصر رائدة النهضة العربية بنشرها التعليم، إلا أن إسماعيل على ما قام به من جهود جبارة أكثر من البذخ والإسراف(...)فعزل إسماعيل وتولى ابنه الخديوي توفيق، وقام أحمد عرابي بالثورة المعروفة التي لم يسفك بها دماء، وتدخلت حينئذ بريطانيا وقامت بنفي كل من تدخل في الثورة واشترك فيها(...)وكان بداية الاحتلال البريطاني لمصر عام 1882م وحاول الإنجليز إغلاق المدارس وهدم الحضارة الناشئة(...)."[9]

وفي المقابل يرى آخرون أن النهضة العربية الحديثة ليس لها حدود زمنية، وما كان قد قيل بأنها تبدأ من الحملة الفرنسية على مصر تفنيد وتكذيب، وممن احتجوا بهذا **"وليم الخازن"** بقول: "ليس للنهضة العربية الحديثة حدود واضحة متفق عليها، بل هي تيار متصل، بعيد الحدود، كثير الروافد، يختلف اتساقا وتأثيرا وأهمية في البلدان التي ورثث حضارة العرب، وانتظمتها لغة الضاد وشكلت العالم العربي الحديث، والنهضة الأدبية مرتبطة بالنهضة الاجتماعية والثقافية، وبمدى انفتاح البيئة التي تعيش فيها على سائر البيئات قريبة أو بعيدة، فالنهضة الأدبية وجه من وجوه الحضارة وعنصر أساسي من عناصرها، تفاعلت معها وكانت رافدا من روافدها المتميزة(...)وبذلك بدا لنا أن نقول: "إن الرأي المتناقل يردده الخلف عن السلف بأن عصر الانبعاث، أو اليقظة العربية، أو النهضة الحديثة، قامت مع حملة بونابرت على مصر (1798) هو رأي به الكثير من التسرع والإجحاف بحق القرون والمراحل السابقة لهذه الحملة، خصوصا في لبنان."[10]

2.1.2.2 أسباب تأخر النهضة الحديثة في الجزائر:

يتحدث **"محمد مهداوي"** عن الأسباب التي أدت إلى تأخر النهضة الأدبية في الجزائر عن مثيلاتها في بعض الدول العربية يكمن في أن الجزائر عانت ويلات الحكم الظالم من قبل العثمانيين وعلى وجه الخصوص الأتراك، أيضا الاستدمار الفرنسي الغاشم الذي سعى إلى

تدمير الثقافة الجزائرية بأكملها وتبديلها بالفرنسية، حيث يقول: "كانت الجزائر تحت سيطرة الحكم العثماني (التركي) تعاني من ضعف اللغة العربية التي حاربها الأتراك، ومنعوا استعمالها في الدواوين الرسمية، وجعلوا مكانها اللغة التركية لغة العلم والإدارة، فتناقصت العربية واقتصرت في الزوايا والكتاتيب القرآنية واقتصرت مهمتها على الشؤون الدينية، بعد أن كانت لغة دين ودنيا معا(...)ونظرا لهذا السبب جفت القرائح ونضب نبع الإبداع الأدبي، كما ضاقت سبل الرزق أمام االجزائريين(...)إذا فالعهد العثماني في الجزائر على الرغم مما شاع فيه من تقدم في العمران وازدهار البحرية، كان وبالا على الأدب العربي في الجزائر، وامتدادا طبيعيا لعصور الانحطاط. ولم ينج الشعب من مخالب الأتراك حتى وجد نفسه بين أنياب الاستعمار الفرنسي(...)وهكذا ظل الأدب العربي في الجزائر في جمود رهيب وانفصام عن العصر، وعن الحياة الفكرية والحضارية حتى ظهور الصحافة الوطنية العربية منذ مطلع القرن 20م وحينها جاءت جمعية العلماء المسلمين التي غيرت حال الأدب والثقافة، وكونت جيلا من الشباب المثقف بثقافة السلف الصالح، الذي انطلق في عملية الإبداع الأدبي(...)."[11]

وعلى الرغم مما قيل في الاستعمار بأنه أتى إلى الجزائر لكي يطورها ويغيرها إلى الأفضل من جميع النواحي وبخاصة الثقافية منها، إلا أننا ألفينا أن هذه الفكرة خاطئة مزيفة تزييفا لا نظير له، ذلك لأن الاستعمار حاول "طمس هذه الثقافة وتغيير شخصيتها، كما حاول غزو عقول الجزائريين بثقافته، وهي دخيلة عليهم، ولا شك أن الاستعمار كان أقوى، فاستطاع أن يحقق الكثير من أهدافه(...)ولم يبق من معالم التراث سوى معالم الدين والقرآن والمدَّاح، وهو الشاعر الشعبي(...)ولم يرحم الاحتلال خزائن الثقافة، فنهب جنوده الكثير من المخطوطات العربية القديمة، وأتلف بعضها، وذلك بشهادة رحالة ألماني هو موريس ڤاغنر (maurice wagner) (...) وذكر ڤاغنر في كتابه "رحلات في ولايات الجزائر" أن جنود فرنسا قد أتلفوا عددا كبيرا من المخطوطات النفيسة التي عثروا عليها في دار ابن عيسى بقسنطينة، وتساءل لماذا يحرم الجزائريون من هذه المخطوطات التي تزودهم بالمعرفة؟(...)."[12]

وتحدث **"أحمد طالب الإبراهيمي"** مطولا عن الاحتلال معتبرا أنه "تخريب للإرث الثقافي في الجزائر قائلا: "فبعد أن استطاع المستعمر إيجاد شعب عاجز عن إعادة صورة ماضيه وبعد أن أطفأ فيه وعيه لقيمته وقيمه، ثبت في ذهنه وبواسطة المدرسة الفرنسية عادات جديدة في التفكير والشعور والعمل"(...)ويقول الكاتب أيضا: "إن فرنسا لم تكتف بتعليمهم لغتها وترسيخ ثقافتها في ذهنهم ونفسهم، بل علمتهم أيضا أنه ليس هناك شيء خارج هذه الثقافة، وأن تاريخ الجزائر يبدأ سنة 1830(...)."[13]

هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد كان من أخطر الأسلحة التي استخدمها الاحتلال الفرنسي في وجه الجزائريين لطمس ثقافتهم هو في تغريب اللغة العربية في أواخر القرن 19م، حتى أن "أحمد شوقي" حين عاد إلى القاهرة بعد زيارته للجزائر سنة 1893 قال قولته المشهورة: "ولا عيب فيها (أي الجزائر) غير أنها مسخت مسخا، فقد عهدت مساح الأحذية يستنكف النطق بالعربية، وإذا خاطبته بها لا يجيبك إلا بالفرنسية."[14]، وممن سار على هذا الأمر أيضا أحد الصحفيين المصريين هو الآخر حين زار الجزائر سنة 1901 راعه وضعها العلمي وتقهقر اللغة العربية الفصحى فيها، فقال: "هجرت ربوع العلم، وخرجت دور الكتب، وصارت الديار مرتعا للجهل والجُهّال، وكادت تدرس معالم اللغة العربية الفصحى، وتطرفت إلى اللغة العامية الكلمات الأجنبية، بل أصبحت اللغة الفرنساوية هي لغة التخاطب في العواصم مثل وهران والجزائر وقسنطينة وعنابة وغيرها."[15]

وممن دعم هذا الموقف **"أبو القاسم سعد الله"** قائلا: "وإذا الاستعمار قد أفاد بعض البلاد العربية حين نقل إليها المطبعة والصحف والمجالس العلمية ونحو ذلك، فإنه في الجزائر كان على عكس ذلك تماما إذ لم يأت لينشر حضارة وإنما جاء ليسلب أفكار الشعب ويزور تاريخه ويحطم كيانه ويستغل ثروته، وبذلك تعرضت شخصية الأدب التي ظلت متحفظة بمقوماتها وملامحها إلى هزات عنيفة كادت تفقدها تلك المقومات والملامح، لأنها لم تستطع أن تواجه الغزو الثقافي بنفس العتاد الذي جاء به الاحتلال في عنفوانه وانتقامه، ولم

تستطع أن تطور ذاتها بالطريقة التي يفترضها تخطيط العدو وبرامجه في الهدم والتسلط وإزالة المعالم القومية."[16]

وعموما يبقى الاستعمار الفرنسي السبب الرئيس وراء تباطؤ النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر، لأنه سبب تباطؤا في سير الحركة الأدبية شعرها ونثرها، مؤديا بذلك إلى تشتت كل الجهود العقلية المنتجة، فتشرد الأدباء والشعراء الوطنيون، واندمج بعضهم في حركة المقاومة التي أعلنها الشعب فترة طويلة ضد الغزاة، وهذا ما جعل "سعد الله" متعجبا عن حالة الأدب في تلك الفترة قائلا: "(...) وما أبعد الأدب في ذلك الزمان عن أن يدخل معركة سياسية، أو أن يجسم روحا قومية، أو أن يحفز إلى مستقبل وطني فيه عزة وكرامة، وفيه حرية واستقلال، لذلك ساد الركود وجمود حركة الأدب، وكسدت سوق الإنتاج حقبة طويلة، وكأن الأدب أصبح ينتظر عهدا من الاستقرار والهدوء(...)."[17]

2.2.2 نشأة الأدب الجزائري الحديث:

إن مسألة نهضة أو نشأة الأدب الجزائري ما زالت محل خلاف بين عدد كبير من الباحثين والدارسين، إذ إن الآراء فيهما تعددت ولربما ذلك راجع إلى عامل تعدد المشارب.

يورد **"محمد مهداوي"** رأيين مختلفين:

أولهما: رأي لصاحب كتاب **"أعيان البيان"** الأستاذ **"حسن السندوبي"** الذي يجعل "الأمير عبد القادر"(1807-1883) يقف على عتبة الأدب العربي الحديث في الجزائر قائلا: "فبطل الجزائر، وإن كان من أرباب السيف، فقد كان أخا للقلم، لا يغمد أحدهما حتى يجرد صاحبه، فيبرى بالأول الرؤوس والهام، ويبرئ بالثاني النفوس من سقام الأوهام، ومثله في أدب الأمراء كمثل سيف الدولة بن حمدان(932-967م)غير أنه كان أوفر ذماما، أوفى عهدا وميثاقا من ممدوح المتنبي(915-965م). ويستشف من خلال خطبه وكتاباته(...)."[18] ومن الذين أكدوا هذا الرأي الأول الدكتور **"صالح خرفي"** مؤكدا "جدارة الأمير بأن يكون بداية نهضة أدبية في الجزائر، وإن لم يكن بأسلوبه الخالي من رونق التجويد، فبمضمونه البطولي الذي ينفرد به في تلك الفترة."[19]

ثانيهما: رأي يقول بأن بداية الأدب العربي الحديث في الجزائر تعود إلى ظهور الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين برئاسة "عبد الحميد بن باديس" التي تأسست سنة 1931: يقول **"محمد مهداوي":** "(...) انطلاقا من هذا الربط، يتفق معظم الذين درسوا تطور الحركة الأدبية في الجزائر، على أن البداية الحقيقية لها، إنما ترتبط برباط وثيق ببداية الحركة الإصلاحية."[20]

وممن دعم هذا الرأي **"البشير الإبراهيمي"** الذي يحدد أن بداية النهضة الحديثة في الجزائر إنما تعود إلى نهاية القرن العشرين مع الحركة الإصلاحية لأسباب كثيرة، يقول: "النهضة العربية في الجزائر بجميع فروعها، وفي مقدمتها نهضة الأدب العربي، وليدة الخمس الثاني من هذا القرن الميلادي-أي القرن 20م-، وقد سبقتها إرهاصات كلها لم تسبق ابتداء هذا القرن، وسبقها كذلك تقدم ملحوظ في عربية القواعد، اضطلع به نفر استطاعوا بوسائلهم الخاصة أن ينقلوا من الحواجز التي وضعها الاستعمار الفرنسي عن قصد في سبيل التعليم العربي، فنفرت طائفة قليلة منهم إلى مصر ورجعت بزاد القواعد العربية وسعت به مداها في ذلك القطر العربي في جميع مقوماته ومنها اللسان العربي، ونفرت طائفة أخرى كثيرة العدد إلى جامع الزيتونة بتونس، وأخذت العلوم العربية(...)حمل أولئك النفر من مصر ومن تونس إلى الجزائر قبسا خافتا من الأدب العربي ولكنه كان كافيا في تحريك القرائح والأذهان(...)وعرفت الجزائر شعر شوقي ومطران والرصافي، وما انتهت الحرب العالمية الأولى حتى كانت المؤثرات الواردة قد فعلت فعلها في نفوس الناشئة التي هي طلائع النهضة الأدبية، وشعرت الجزائر بعروبتها الأصلية التي كانت كامنة كالنار في الحجر، والتمست القائد الملهم الذي ينفخ من روحه القوية في تلك البذرة لتخرج شطأها فتورق فتزهر أو تثمر، فوجدته مهيأ في شخص الأستاذ عبد الحميد بن باديس رحمه الله، فاضطلع بقيادة تلك النهضة إلى أن أصبحت كامنة في الأدب والعلم والسياسة(...)وبدأت النهضة الأدبية تسابق الإصلاح الديني وتغديه(...)."[21]

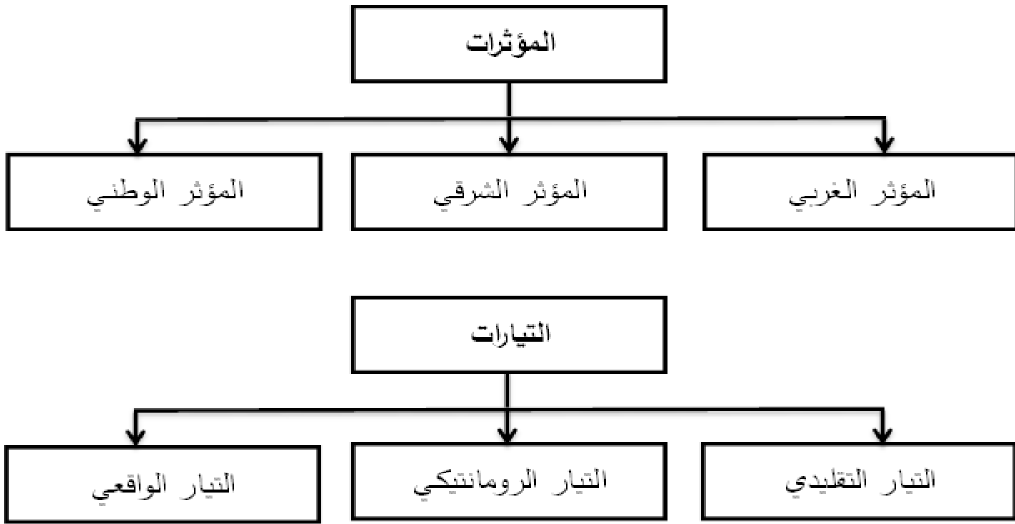
ولم ينس "**مخلوف عامر**" الانتصار إلى هذا الرأي الثاني معتبرا بأن جمعية العلماء المسلمين هي التي يعود إليها الفضل في ظهور الأدب العربي الحديث في الجزائر، حيث يقول في الصدد نفسه: "لقد ارتبطت الحركة الأدبية في الجزائر بالخطاب السياسي الاجتماعي منذ العشرينيات على الأقل. فجمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت حركة بعث وإحياء للأصول، وعملت على توظيف كل الأدوات المتاحة بما فيها اللغة العربية وآدابها لخدمة القيم التي أنشئت من أجلها(...)."[22]

وممن تحدثوا عن نهضة النهضة العربية في الأدب الجزائري "**عمر بن قينة** الذي يؤكد قائلا: "إن أصول الحداثة في الأدب الجزائري ترجع إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر حين كان ارتباط الحركة الأدبية في المغرب العربي بالمشرق قائما، وقد بدأت النهضة في الوطن العربي، عموما باستلهام التراث العربي المشترك في عصور ازدهاره الأولى، منطلقة من إحياء أمهات الكتب، في هذا التراث والاستفادة من عناصر القوة فيه(...)وإذا كان من رواد الحركة الأدبية الحديثة في الشرق العربي، محمود سامي البارودي(1838-1904م)فإن عبد القادر الجزائري يعتبر من روادها في المغرب عموما، وفي الجزائر خصوصا(...)فالأمير عبد القادر من جيل النهضة الحديثة في الوطن العربي، مسك بزعامة السيف وزعامة الشعر(...)."[23]

3. المؤثرات والتيارات والعوامل التي أسمهت في تشكيل النهضة والنشأة الأدبية الحديثة في الجزائر:

1.3. المؤثرات والتيارات:

تحدث الأستاذ "**أبو القاسم سعد الله**" على المؤثرات والتيارات التي أسهمت في ظهور الحركة الأدبية في العصر الحديث بالجزائر، حيث جمع بينها في ستة عناصر أخذ كل واحد منهما ثلاثة عناصر، جاءت على النحو الآتي:



1.1.3. المؤثرات:

***المؤثر الغربي**: لعله أول المؤثرات في ظهور الحركة الأدبية بالجزائر، وذلك لاتصال الجزائر بفرنسا من جوانب عدة سياسيا واقتصاديا وحضاريا وفكريا وغيرها منذ دخولها إلى أرض الجزائر عام 1830م، حيث استطاع الاحتلال أن يسيطر على مقاليد النواحي المادية في الشعب ويوجهها لخدمته، ولكنه لم ينجح في الاستلاء على التقاليد الفكرية والثقافية إلا بعد زمن طويل، نظرا للأطماع السياسية والإغراءات وذلك منذ الحرب العالمية الأولى، ولكن بعد الحرب العالمية الثانية ظهرت طائفة من المفكرين والأدباء كانت نتيجة لمحاربة الطائفة الأولى التي أغريت حيث كانت تجربتهم جزائرية ولكن وسائلهم واتجاهاتهم كلها غربية، وهذا المؤثر خفت حدته منذ قيام الثورة المباركة.[24]

***المؤثر الشرقي**: ويعنى به "اقتداء الشعب الجزائري بما يجده في الشرق العربي من أفكار واتجاهات، وما يحدث فيه من هزات قومية سواء أكان عمادها الماضي ومجده أم الحاضر في قلقه وتحفزه، وقد كان الشرق غنيا بالتجارب العقلية والثورية منذ النصف الثاني من القرن الماضي –أي القرن 19م-، تجلت هذه التجارب في علاقته مع الأتراك ومحاولته التخلص من حكم القرون الوسطى(...)فكانت كل خطوة تحررية، أو دعوة إصلاحية، أو ثورة أدبية يصل

صداها بسرعة مذهلة إلى الجزائر، وتتفاعل مع الجيل الذي يستقبلها مرحبا مستفيدا من خبرتها وحرارتها، وهكذا كان الشرق العربي مؤثرا حيويا في اتجاه الأدب الجزائري(...)."[25]

***المؤثر الوطني:** هو "مجموعة الأحداث الكبيرة التي ظهرت في الجزائر متخذة لها من السياسة عنوانا، ومن الوطنية شعارا، ومستهدفة جمع الشعب تحت راية واحدة، زاحفة به نحو تحقيق آماله في الاستقلال والحرية، والواقع أن هذا المؤثر قد تأخر طويلا عن موعده رغم الحاجة إليه(...)ومن ثم يمكن القول بأن الحركة الوطنية قد تأثرت في الأدب في جميع مراحلها، غير أن هذا التأثير اتخذ شكل التأييد المطلق وأغنى الأدب بتجارب سياسية في بعض الأحيان، واتخذ مرة أخرى شكل المعارضة والدعوة إلى مفاهيم جديدة تحقق للشعب حياة أكمل وأوفر كرامة من حياته في ظل الاحتلال."

2.1.3. التيارات:

***التيار التقليدي:** يواصل "سعد الله" قائلا بخصوص هذا التيار: "لم يظهر هذا التيار جديدا في الوسط الأدبي، ولكنه كان استمرارا للحركة القديمة شعرا ونثرا، وكان عماد هذا التيار المحافظة على عماد الشعر القديم، والاحتفاظ بخصائص القصيدة العربية الموروثة دون تطوير وتجديد، فالقافية واحدة، والوزن واحد، والمعاني ساذجة مقلدة، والموضوعات لا تخرج عن الرثاء والمدح، والزهد والإرشاد، والأسلوب مهلهل، حائل الألفاظ، بارد الصور(...)أما في النثر كان عماد هذا التيار التقليدي السجع وتطبيق ألوان البديع على الرسالة أو المقامة أو التأليف. بل حتى المقالات الصحفية، والخطب المنبرية(...)."[26]

***التيار الرومانتيكي:** لم يكن هذا التيار الذي ظهر بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة إلا رد الفعل للوضع السياسي الذي كانت تعاني منه البلاد في ظل الاستعمار وتدخل فرنسا في كل شيء، وكذا عزل الأدباء عن الحياة العامة، بحيث انقسم هذا التيار على نوعين؛ أحدهما: وصول مبادئ الرومانتيكية من فرنسا إلى الجزائر وتأثر الجيل الدارس للثقافة الفرنسية بتلك المبادئ وما تحمله من بذور ثورية، وثانيهما: هو تأثر أدباء هذا التيار بكل من مدرسة

المهجر وجماعة أبولو الرومانتيكيتين، فالأولى لم تكن إلا عربية مجددة بشيء من السماحة والحرية، ولم تكن الثانية إلا عربية متطورة في شيء من اليسر والترخيص.[27]

***التيار الو اقعي:** "جاء هذا التيار كنتيجة لتطور الحركة الوطنية في الجزائر، فبعد تبلور المفاهيم القومية في أذهان الناس، ووضوح المبادئ السلمية أو الثورية التي اعتمدت عليها الحركة في خط سيرها المتعرج الطويل(...)والحق أنه كان لهذا التيار فرعان: فرع عربي اللغة واضح الأهداف، شديد الارتباط بالشعب، كثير الاعتماد على الجمع بين القديم والحديث، وقد تمثل هذا في الشعر العربي الذي نظم بين 1930-1954، وفرع آخر فرنسي اللسان، غامض الأهداف، كثير الاعتماد على الحديث، وتمثل في الرواية والقصة وبعض الأشعار المستمدة من صميم الحياة الشعبية، وكان ظهوره بين 1946-1954(...)."[28]

2.3. العوامل:

لقد أسهمت في النهضة الأدبية في الجزائر ونشأتها عدة عوامل منها ما هو محلي ومنها ما هو خارجي أخذت في البروز بالأرض الطاهرة حين بدأ يسري في نفوس الجزائريين النهوض بالقيم الوطنية وذلك منذ أواخر القرن التاسع عشر، يقول في هذا الشأن **"عمر بن قينة":** "(...) أواخر القرن التاسع عشر بدأ يسري في المجتمع انتعاش واعد باستئناف النهوض بعد الانكسار بفعل عوامل مختلفة داخلية وخارجية، فمن العوامل الخارجية إدراك الجزائريين الذين كانوا يترددون على أوروبا وفرنسا خصوصا الفروق الظالمة بين سياسة (فرنسا) في وطنها، وسياستها في (الجزائر)(...)."[29]

وعلى الرغم من اختلاف وتعدد العوامل الداخلية والخارجية التي أسهمت في بث الوعي للنهوض بالأدب ونشأته بالجزائر، فإن انتشار الصحف* بالجزائر يبقى أهم شيء ساعد على بث الوعي للنهوض سواءً أكانت صحفا محلية أم خارجية، وعن هذه الأخيرة قال **"عمر بن قينة":** "(...)كما لعبت الصلة بالشرق العربي دورا بارزا بفضل الصحف والنشريات التي كانت تسرب إلى التراب الوطني فتدعو إلى اليقظة والنهوض عربيا، ومن بينها صحيفة (المؤيد) التي يقول عنها (سعد الدين بن أبي شنب) إنها ابتداء من سنة 1307هـ/1889م أخذت تدعو "إلى

اليقظة وإصلاح المفاسد المتفشية بين العرب. وحب الحرية والثورة على الاستبداد الاستعماري، فكانت الصحف والمجلات تأتيهم [الجزائريين] مباشرة من مصر، أو تصل إليهم عن طريق غير مباشر أي طريق تونس(...)وكان كل عدد من تلك النشرات يزيدهم شجاعة وإيمانا بمستقبلهم العربي الإسلامي(...)."[30]

ونظرا لأهمية انتشار الصحف بالجزائر، فإننا سنتحدث قليلا عنها ولو بالشيء القليل عبر مجموعة من المعلومات التي اقتبسناها من الجزء الثامن من كتاب **"تاريخ الجزائر الثقافي"** لـ **"أبي القاسم سعد الله"** عن الصحافة وانتشارها بالجزائر منذ أيام الاحتلال.

من المشاريع الفرنسية خلال القرن 19م في الجزائر لهدم كيانها هو ظهور الصحف، لذلك فإنه عندما تذكر الصحف خلال هذا القرن فإن الذهن لا بد أن ينصرف إلى الجريدة الفرنسية **"المبشر أو المبصر**[**]" الصادرة باللغتين العربية والفرنسية، والتي دامت ثمانين سنة وذلك بين سنتي 1847-1927، وقد كانت صورة للتناقضات التي عرفتها الإدارة الفرنسية نحو الجزائريين، إذ ظهر على صفحاتها عدد من الأسماء طغى على إنتاجهم الأدبي المسحة الأدبية ومتانة الأسلوب والكتابة الخاصة، منهم: **"حسن بن بريهمات، ابن علي الشريف، سليمان الصيام، محمود بن الشيخ علي"**، حيث ألف هذا الأخير رسالة مهمة في البلاغة، كما كتب عدة مقالات منها واحدة سنة 1867 بعنوان **"نصيحة عمومية لأهل الحضر والبادية"** ونشرها في صفحة كاملة من الجريدة بخط رقيق، وامتازت بالطول واستعمال الشواهد من القرآن والأحاديث بأسلوب بسيط دون سجع.

ولوعي الجزائريين بأن ظهور الصحافة تعد عاملا من العوامل الرئيسية التي تسهم في بث الوعي لدى الشعب ومحاربة الظلام، حاولوا إنشاء صحف خاصة بهم مطلع القرن 20م، لكن الاحتلال كان لها بالمرصاد وأوقفها لأنها لم تكن تخدم صالحه مثلما خدمته **"المبشر"**، ومن الصحف التي ظهرت خلال هذا القرن **"الفاروق"** لصاحبها **"عمر بن قدور"** سنة 1913، حيث امتاز أسلوبه بالأسلوب الصحفي الجذاب مع تناوله لموضوعات مهمة وحية وسط

المجتمع الجزائري، متأثرا بأسلوب المدرسة النثرية الجديدة في المشرق حين كانت الجرائد المشرقية تصل إلى الجزائر مثل: اللواء والمؤيد ومجلة المنار.[31]

ولم يكد ينتهي لهيب الحرب العالمية الأولى حتى ظهر عدد من الصحف منها: **النجاح والمنتقد والإقدام والشهاب والبصائر وجرائد أبي اليقظان**، فاحتضنت عددا من كتاب المقالة كـ: **"العقبي والبشير الإبراهيمي و أبو يعلى الزواوي"** الذين امتلأت بكتاباتهم أعمدة الصحف.

ساعد انتشار الصحافة على ظهور فن المقالة، لذلك أجمع عدد من الباحثين على أن هذا الفن ظهر مع مرحلة الإصلاح في الجزائر حين انتشرت الصحف وأعربت عن استقلالها من الاحتلال الذي كان يتحكم في سابقاتها ويوجهها لخدمته، وممن كان لهم الفضل في تطوير المقالة الصحفية بالمساهمة الفنية في جريدتي **"الشهاب ثم البصائر" "أحمد توفيق المدني"**، وأشهر من كتب في المقالة الدينية **"أحمد سحنون"**، وأحسن من عبر عن المقالة الاجتماعية **"باعزيز بن عمر"**، وأبرز من يمثل الإصلاح بالمعنى الدقيق من كل الجوانب رئيس الجمعية **"عبد الحميد بن باديس"** الذي امتازت مقالاته بالعمق والقصر والدلالة؛ وكل هؤلاء لجأوا إلى إصدار الصحف للتعبير عن أفكارهم.

ومع نهاية العشرينيات وبداية الثلاثينيات من القرن الماضي ظهرت الأحزاب السياسية، وأهمها: **"حزب نجم شمال إفريقيا وفدرالية المسلمين الجزائريين مع ابن التهامي و أنصار الأمير خالد"**، بحيث كان لكل حزب من هذه الأحزاب صحف خاصة بها لاختلاف الرؤى وتباينها، وهذا ما دفع بالمقالة الصحفية إلى التطور، بحيث لم يبلغ فن أدبي التطور مثلما بلغه فن المقالة للتنافس المحتدم بين الكتاب للوصول إلى أحسن مقال، وهذا ما أدى إلى ظهور أساليب جديدة وخصائص مميزة اصطبغت بها المقالة وبخاصة المقالة الأدبية التي أبدع فيها **"رمضان حمود"** الذي عاش عمرا قصيرا الثائر على القديم ودعاته أو من سماهم بـ: "عبيد التقليد وأعداء الاختراع"، وعلى مذهبه سار **"يحيى بوجناح (الملقب بالفرقد)"** الذي قال عنه **"محمد العابد الجلالي"**: "إنه كان دون العشرين، ومع ذلك فإن مقالاته تدل على

أنه قد عاش الدهر، وشهد على أن مقالاته كانت تمتاز بالغيرة الدينية وحصافة العقل والذكاء والوطنية وعزة النفس(...)."، وقد عرفت هذه المقالة تطورا آخر على يد ثلاثة أعلام هم: **"حمزة بوكوشة، وأحمد رضا حوحو، والبشير الإبراهيمي"**، بحيث كان الأول متأثرا بالحركة الرومانتيكية وكان مرتبطا بالحركة الإصلاحية وقد أنشأ جريدة باسم **"المغرب العربي"** في وهران، وأما الثاني الذي هاجر إلى الحجاز في الثلاثينيات ولكن لم يجعله ذلك ينقطع عن الحركة الأدبية بالجزائر فكتب في مجلة **"المنهل"** بالحجاز، وأما الأخير فقد تناول في إنتاجاته موضوعات تتعلق بالثورة ودعوة الشعب ليلتف حولها، ومخاطبة العرب والمسلمين في المشرق لمساندة الثورة، فكانت بعض مقالاته من النثر المرسل الذي لا يكلف فيه، وأسلوبه أسلوب خطابي وأدبي يهز ضمير المتلقي بألفاظ مشحونة بالمعاني.[32]

4. خاتمة:

من خلال ما سبق، يمكن القول إن نشأة وتطور الأدب الجزائري الحديث لم تكن مفصولة عن نظيرتها في الوطن العربي، حيث أسهمت في ظهوره وتشكله مجموعة من الأشياء ولعل أهمها الاستدمار الفرنسي الذي أراد القضاء على الأخضر واليابس في الجزائر؛ ومن جملة نتائج المتوصل إليها في هذا البحث ما يلي:

- يعد الأدب الجزائري الحديث جزءا مهما من الأدب العربي الحديث؛ فهو لم يختلف عن الآداب العربية الأخرى من الناحية الأسلوبية والتعبيرية والتصويرية، ولكنه اختلف عنها في نقل الموضوعات والقضايا التي طرحها، لأن هموم الأديب تختلف من أديب إلى آخر.
- مر الأدب الجزائري بنفس المراحل التي شهدتها مختلف الآداب العربية منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا.
- من الأسباب التي أدت إلى تأخر النهضة الأدبية في الجزائر عن مثيلاتها في بعض الدول العربية يكمن في أن الجزائر عانت ويلات الحكم الظالم من قبل العثمانيين وعلى وجه الخصوص الأتراك، وأيضا الاستدمار الفرنسي الغاشم الذي سعى إلى تدمير الثقافة الجزائرية بأكملها وتبديلها بالفرنسية.

- لقد تضاربت الآراء بين عدد كبير من الباحثين والدارسين للأدب الجزائري في مسألة نهضته أو نشأته الفعلية بين من يرى بأن فترة "الأمير عبد القادر" هي الفترة التي أدت إلى ظهوره، وبين من يرى أن المرحلة الإصلاحية هي التي تقف على عتبة ظهوره إلى الواجهة.

- لقد أسهمت في تشكل الأدب العربي الحديث في الجزائر مجموعة من التيارات والمؤثرات والتيارات والعوامل منها ما هو محلي محض ومنها ما هو خارجي دخيل.

5. الهوامش والإحالات:

[1] محمد مهداوي، هموم الكتابة في الأدب العربي الحديث في الجزائر أيام الاحتلال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2017، ص11.

[2] المرجع نفسه، ص03.

[3] كريمة محاوي، مطبوعة بيداغوجية لمقياس أدب جزائري حديث ومعاصر، قسم اللغة العربية وآدابها، المدرسة العليا للأساتذة، بشار، 2019-2020، ص10.

[4] محمد مهداوي، هموم الكتابة في الأدب العربي الحديث في الجزائر أيام الاحتلال، المرجع السابق، ص26.

[5] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، عالم المعرفة، الجزائر، دط، 2011، ص21.

[6] جبران مسعود، الرائد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1992، ص824.

[7] نجم الدين الحاج عبد الصفا، الشعر العربي والاتجاهات الجديدة في عصر النهضة الأدبية، نادي الأدب، ع:02، نوفمبر 2014، ص2.

[8] مسعد بن عبد العطوي، الأدب العربي الحديث، مكتبة عبد الملك فهد الوطنية، تبوك، دط، 1430هـ، ص17-18.

[9] المرجع نفسه، ص17-18-19.

[10] وليم الخازن، تباشير النهضة الأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص11-12.

[11] محمد مهداوي، هموم الكتابة في الأدب العربي الحديث في الجزائر أيام الاحتلال، المرجع السابق، من ص12 إلى ص14.

[12] نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2009، ص40.

[13] المرجع نفسه، ص40-41.

[14] المرجع نفسه، ص43.

[15] المرجع نفسه، ص43.

[16] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص22.

[17] المرجع نفسه، ص21-22.

[18] محمد مهداوي، هموم الكتابة في الأدب العربي الحديث في الجزائر أيام الاحتلال، المرجع السابق، ص23.

[19] المرجع نفسه، ص26.

[20] المرجع نفسه، ص27.

[21]أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، عالم المعرفة، الجزائر، دط، 2011، ص ط-ي.

[22]مخلوف عامر، مراجعات في الأدب الجزائري، دار التنوير، الجزائر، دط، 2013، ص92.

[23]عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تاريخا..وأنواعا، وقضايا..وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 2017، ص15 وص21.

[24]ينظر: أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص23-24.

[25]المرجع نفسه، ص24-25.

[26]المرجع نفسه، ص26-27.

[27]ينظر: المرجع نفسه، ص27-28.

[28]المرجع نفسه، ص28-29.

[29]عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تاريخا..وأنواعا، وقضايا..وأعلاما، المرجع السابق، ص41.

[*]يقول **"محمد صالح الجابري"** في كتابه **"الأدب الجزائري المعاصر"** بأن: "السلطات الاستعمارية لم تكن تخشى قصائد الشعر الثورية بقدر ما كانت تخشى جريدة وطنية تجسم الجزائر معنى واسما، وتحيي في النفوس ما دأبت السلطة على قتله باطراد والشعور بالكيان والجذور، فالجريدة هي السلاح الوحيد الذي كان بإمكان الجزائري أن يشرعه في وجه السلطة، وهي المجال الوحيد الذي كان بإمكانه أن يذيع أشعار الشعراء ومقالات الكتاب بين الناس(...)". محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، ط1، 1426هـ/2005م، ص40-41.

[30]المرجع نفسه، ص41.

[**]تسمية المبصر جاءت في كتاب **"هموم الكتابة الأدب العربي في الجزائر أيام الاحتلال" لـ "محمد مهداوي"**. *محمد مهداوي، هموم الكتابة في الأدب العربي الحديث في الجزائر أيام الاحتلال، المرجع السابق، ص15.

[31]ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، 8/68-69.

[32]ينظر: المرجع نفسه، ج8، من ص69 إلى ص74.